الفصل الثانى
الدين وطبيعته

يتناول هذا الفصل مفهوم الدين، وأهميته، وأهداف تدريسه، وطبيعته وضرورته للحياة، وللمجتمع، وما ينبغى أن يتناوله منهج التربية الإسلامية، في مدارس التعليم العام. وفيما يلى بيان لهذه المفردات.

أولاً: مفهوم التربية الدينية وأهميتها:

هناك مجموعة مفاهيم للتربية. منها :أنها تنمية الوظائف النفسية بالتمرين، حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا. ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمى شخصية الطفل من الناحية الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية حتى يصبح قادرا على مؤالفة الطبيعة . يجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه ، وإسعاد الناس.

والدين ما يذهب إليه الإنسان ، ويعتقد أنه يقربه إلى الله . وإذا أطلق الدين فهو الطاعة العامة ، التى يجازى عليها بالثواب مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران: ١٩).

وليس بالضرورة أن يكون للدين شريعة ، مثل دين ، أهل الشرك واصل الدين الطاعة. ودان الناس لملكهم أى أطاعوه. ويجوز أن يكون أصله العادة. وقيل: للطاعة دين، لأنها تعتاد، وتوطن النفس عليها.

والتربية علم تطبيقى، يطبق النظريات، وما يشتق منها من معلومات يمكن استخدامها فى المجال التربوى، وقد تلقى قبولا من المجتمع، أو لا تلقى، وقد تجدى اليوم ولا تجدى فى الغد، أما التربية الإسلامية فهى التغيير إلى المقدار الذى يدعو إليه القرآن الكريم ، والسنة النبوية والحكمة الإنسانية.

وهى بهذا المعنى مصدرها الوحى من الله ، خاصة ما يتعلق منها بأصول العقيدة، والقيم الإنسانية الفطرية المرتبطة بها ، أو أنها مجموعة الممارسات العملية وغير العملية ، التى يقوم بها المسلم، يوجهها فكر الإسلام وعقيدته تجاه الخالق و المخلوق والكون بأسره مبتغيا بها وجه الله.

وتسبق التربية الإسلامية التربية بمعناها العام ، من حيث إن الأسرة واجبها الأول تنشئة الطفل على أصول العقيدة الإسلامية ، والقيم الأخلاقية التى جاءت بها مثل : الصدق ، والأمانة والشجاعة ... الخ فضلا عن أنها تتناول المولود قبل ولادته وذلك مثل حسن اختيار الزوجة من النواحى المختلفة ، ثم اختيار أحسن الأسماء للمولود ، والاهتمام به من حيث الرضاعة والفطام والتربية من المهد إلى اللحد. أما التربية بمعناها العام (الوضعى) والعقلية فتشمل الجوانب الجسمية ، والعضلية، والانفعالية ، والاجتماعية والخلقية ؛ ولهذا فالتربية الإسلامية لصيقة بالطفل منذ مولده ومهتمة به قبلها ، وهى الأساس الأول لاندماج الطفل فى حياة الجماعة حيث تمثل ميلا طبيعيا من الإنسان.

والإسلام بهذا الاعتبار يشكل النشء ، ويغرس فيهم القيم الفاضلة ، والعادات الطيبة ويقدمهم إلى تربية أخرى يقوم الكبار بتوجيههم إياها ،بناء على فهمم الواعى للإسلام وحرصهم على تشرب شريعته.

ومن هذا المنطلق فإن الدين قوة من أعظم قوى البشر ، وهو مرجع عام لكشف ما يشتبه على العقل من غوامض الأمور ، وهو "مستقر السكينة ، وملجأ الطمأنينة . به يرضى كل بما قسم له ، وبه يدأب كل عامل حتى يبلغ الغاية من عمله وبه تخضع النفوس إلى أحكام السنن العامة فى الكون ، وبه ينظر الإنسان إلى من فوقه فى العلم، والفضيلة، وإلى من دونه فى المال والجاه اتباعا لما وردت به الأوامر الإلهية".

وتنبع اهمية التربية الإسلامية من واقع أنها:

- تعنى بتربية الطفل و الراشد ، والمرأة والرجل، وتتولى تربيتهم ورعايتهم منذ ميلادهم وتوجههم فى حياتهم الدينية و الدنيوية ، وما ذلك إلا لاتصافها بالواقعية "فالإسلام يصاحب الفرد ليس فى كافة مواقف الحياة فحسب، بل طيلة الليل و النهار فى المأكل و المشرب ، والمنام و اليقظة ، والسر والعلن، و العمل و الفراغ ، والصحة والمرض، و الجهر و الصمت ، و الرضا و الغضب".
- تعالج الفطرة الإنسانية بصورة شاملة، ودقة متناهية، فهى تعالج روح الإنسان، وجسده ومشاعره، وتعامله ككل واحد، وكيان متكامل ، لا تعالج جانبا، وتهمل اخر. وهى لهذا تمتاز بالشمول. تقوى العقيدة، وترسخ الإيمان، وتؤكد صلة الإنسان بربه، إذ تبعده عن الخطأ، وتحميه من الانحراف، وتبين له الحسن والقبيح، وتزيده طمأنينة و أماناً وترشده إلى التقوى.

- ❖ تعمل على تقويه روابط الإخوة فى العقيدة والإنسانية ، بينها وبين أبناء الوطن ، بل بين أبناء الجنس الإنسانى ككل.
- ❖ تعرف الفرد بالأحكام الشرعية ، والقوانين المرعية التى تصح بها العبادة ، وتصبح قربى إلى الله يؤجر عليها المسلم ، كما تسلم بها المعاملات من الاستغلال وعدم الأمانة إذا كانت موجهة إلى الله. تدعم جانب الاقتداء برسول الله (ﷺ) فى كل قول ، أو عمل أو شعور ؛ لأن قمة الإنسانية تتجلى فيه.
- ❖ تدعو إلى الفضائل ، وتدعم الأخلاق الحميدة ، وتؤكد العادات الطيبة فى نفوس النشء ، مما يمكنهم من خدمة المجتمع والنهوض به فى شتى مجالات الحياة ، ليصبح مجتمعا صالحا قادرا على أداء رسالته.
- ❖ تنمى فكر الفرد ، وتنظم سلوكه ووجدانه ، وتضبط علاقاته ، وتنظمها فى ضوء التشريع الإسلامى ، وتعلمه أنه مراقب من الله ، فإن لم تكن تراه فهو يراك. وهى بهذا تدعوه إلى الالتزام ، وتجسد فيه روح المسئولية.
- ❖ تبنى شخصية الفرد، وتسمو بقيمته، وترفع مستواه الإنسانى، ليكون جديرا بالأمانة التى حملها ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.(الأحزاب: ٧٢).

وقد واكب الدين تطور الإنسان. وكان التوحيد هو دعامة تلك الأطوار كافة فى جميع الحضارات الكبرى، حيث كان الإيمان بالأرواح شائعا فى جميع الأمم البدائية، وأن الأمم التى جاوزت هذا الطور إلى أطوار الحضارة، وإقامة الدول لا تخلو من مظاهر العبادة الطبيعية أو عبادة الكواكب على الخصوص. وفى طليعتها الشمس و القمر. والسيارات المعروفة، وأن عبادة الأسلاف تتخلل هذه الأطوار المتتابعة على أنماط تناسب كل طور منها حسب نصيبه من العلم والمدنية.

ويحكى القرآن الكريم طرفا من هذا التطور المقنع فى سورة الأنعام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام : ٧٤) ثم يتدرج من الكواكب، إلى القمر ، إلى الشمس. إلى أن يقول : ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام : ٧٩).

ولا يزال الإنسان " يعرض العقيدة بعد العقيدة على الإنسان ولا نعلم أنه عرض عليها حتى اليوم قديما معادا ، أو جديدا مبتدعا هى أوفق من عقيدة القرآن وأوفق ما فيها أنها

غنية عن الاختراع والامتحان ، وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية شملت ملايين الخلق ، وثبتت معهم وحدها فى كل معترك ، يوم خذلتهم كل قوة يعتصم بها الناس.

والدين ضرورة فردية يتحتم على كل مسلم أن يعرف دينه ويتعلم أحكامه وشريعته ويتأمل آيات ربه ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد : ١٩). فاعتبرت الآية من لم يعلم بما أنزل على محمد (ﷺ) بمثابة الأعمى. وهو بهذا الاعتبار مسئولية شخصية.

والدين ضرورة اجتماعية، لأنه ينظم حياة الناس فى البيع والشراء، والأخذ والعطاء، ويحدد العلاقات التى تحكم نظام الحياة ، ويضع دستورا بعيداً عن الهوى والغرض ، ويتحرى العدل والإنصاف ، ويؤكد جانب الإخاء والمساواة. ويلخص هذا " الدين المعاملة" حديث شريف ، لأن المعاملة عامة للإنسان والحيوان والنبات والجماد ، أما العبادة فهى خاصة بالفرد ، وإن تعددت للصالح العام.

والدين فى حقيقته ليس عقيدة فحسب ، أوكهنوتا ، أو شعيرة من الشعائر ، بل هو منهج إلهى قادر على إعداد الإنسان العصرى إعداداً يؤهله لأن يكون خليفة الله فى الأرض ، يحمى العرض ، ويعمر الأرض ، ويحفظ النفس ، ويكسب المال ، يهذب الخُلق ، ويحفظ الخلق. يعمل لدينه ، وينمى دنياه.

والدين جانب مهم من جوانب الثقافة ، لأن المفاهيم والمعارف والمعلومات والقيم الدينية ، بل كل ما يعزى إلى الدين يعد عاملا مؤثرا فى حياة الفرد وسببا فى قربه من المجتمع أو بعده عنه.لأنه يساعده على تشرب قيم المجتمع من جوانبها الثقافية المتعددة ، والسلوكيات المطلوبة لهذا المجتمع.

وقد شرع الله تعالى الدين على أساسين هما :

<u>أولهما :</u> إقامة الدين.وهو توحيد الله وطاعته ، والإيمان برسله وكتبه واليوم الآخر ، وسائر ما يكون المرء مسلماً بإقامته.

<u>ثانيهما :</u> أن لا نختلف فى هذا الدين. ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾ (الشورى : ١٣)

والدين - عند المسلمين - من الأمور المسلم بها، ولذا فإنه لم يطرح عندهم على

بساط البحث ليحدد كمفهوم ، بينما طرح فى العالم الغربى ، واختلفت الآراء فى تفسيره تبعا لاختلاف المذاهب والمدارس التى ينتمى إليها أصحابها.

فهو فى رأى أصحاب المذهب الوضعى ، وفرويد - اختراع محض ، خلقته الرغبات البشرية المرفوضة لكى يجد جنة خيالية لحركة حرة من غير عائق.

وهو فى رأى من يرى الفصل بين الكنيسة والحكومة – التوجيه الروحى للأفراد.

وهو فى رأى أصحاب علم النفس - معتقدات وعمليات شعورية ترتكز على شخصية الإنسان وما بداخله من دوافع ومؤثرات.

وهو فى رأى أصحاب علم الاجتماع - معتقدات وممارسات شعورية ترتكز على عوامل اجتماعية ، أو عنصرية ، أو طائفية.

وهو فى رأى كارل ماركس وأتباعه إن الأديان أفيون الشعوب ، وأن الناس يقبلون على الدين لأنه يخدرهم ، ويلهيهم عن شقاء الحياة.

وواضح من هذه الآراء - وما يمكن أن يقال فى هذا الصدد - أنها تمثل اتجاهات أصحابها وميولهم ، ومنفعتهم وهو -كأى كلام صادر عن البشر - لا يخلو من القصور وعدم الشمول.

وليس عرض هذه الآراء من باب المقارنة ، لأنه لا يمكن وضع هذا الذى قيل أمام دين منزل من عند الله ، يلبى صميم الفطرة بالإحساس بالله ، والإدراك بوجود خالق لهذا الكون ، إذ الكون كله مفطور على عبادة الله.

ويمكن القول: إن الدين الإسلامى هو الذى نزل به محمد (ﷺ) وعقله من وعاه عنه من صحابته ، ومن عاصرهم ، وجرى العمل عليه حينا من الزمن بينهم بلا خلاف ولا اعتساف فى التأويل ، ولا ميل مع الشيع.

والدين الإسلامى بهذا الاعتبار دين العقول القادرة ، لا دين العقول السادرة ، دين الفطرة لا دين الهوى ، دين الواقع لا دين الخيال ، دين الصراحة لا دين الخيال ، دين العزة فى الخضوع لله ، لا دين الذلة فى الخضوع لغير الله. دين مصلحة الجميع ودين مصلحة المجموع ، دين الدنيا والآخرة ، لا دين واحد منهما ، دين الحق لا دين الباطل.

وهو أسلوب من أساليب التكيف ، إلا أنه يختلف عن الأسلوب العلمي فى التكيف فى كونه يحسب حساباً لأمور لا تدخل فى حساب العلم ، ومن هنا كان أسلوب التكيف

الدينى أشمل وأرحب من أسلوب التكيف العلمى ؛ لأنه، أى الدين الإسلامي رصيده من الناحية الإنسانية، يكفل له القدرة على التعامل مع من فى الكون وما فيه، تعاملاً يؤاخذ فيه الإنسان.

والدين الإسلامى دين يستوعب الكون بأسره بمن فيه وما فيه. جاء بالعقيدة الثابتة ووضع الدستور، وشرع الشرائع ، وسن القانون ، ورسم المنهج و أرسى القيم وأكد المبادئ واهتم بالفرد ورغب فى الجماعة ، وخطط للتربية. فهو ليس زائداً عن الحياة ، بل هو لا غيره. نظام هذه الحياة ، وقوامها فى كل ما يتصل بالوجود.

ثانيا : الحاجة إلى الدين :

إذا كانت الحاجة هى أن يكون الموجود على حال يفتقر فيها إلى ما هو ضرورى لبلوغ غاية ما ، سواء كانت تلك الغاية داخلية أم خارجية ، معلومة لديه أم مجهولة - فإن الحاجة إلى الدين ، والضرورة إليه تبدو من واقع أنه منهج إلهى ، وشريعة سماوية، ودستور خالد. صادر من إله حق ، عالم بأحوال الخلق . وهذه الحاجة ضرورة تربوية، "لأن التربية لاتعنى مجرد إكساب الناشئ كما معرفيا : صغر أم كبر ، بسط أم عقد ؛ وإنما تعنى بالدرجة الأولى - بالإضافة إلى ذلك - إكساب الناشئ من السمات ، والقيم، والعادات ، والميول ما يحيله من مجرد كائن حى : يأكل ويشرب، ويتناسل، وينام وغير ذلك من العمليات الحيوية إلى إنسان يفكر ويتخيل ، ويتصور، ويخطط، ويدبر، ويبدع، ويبتكر. من مجرد كائن يغدو ريشة فى مهب ريح قوى الطبيعة إلى إنسان له من الإرادة ما يمكنه من تسخير هذه القوى بما فيه مصالحه ومنافعه".

وتبدو الحاجة إلى التربية الدينية خاصة فى عصرنا الحاضر ، حيث تحقق كثير من التقدم المادى فى مجال العلوم والتكنولوجيا ، وأصبح الإنسان فى حاجة إلى إشباع الجانب الآخر من حياة الإنسان لكى يكون هناك توازن بين المادة و الروح ، ويتحقق اتصال الفرد بالمجتمع ، والمجتمع بالفرد ؛ ذلك " أن هناك إحساساً بحاجة الإنسان منذ أن وجد على الأرض إلى أن يرتبط بقوة حامية منقذه، تدفع عنه قسوة الحياة، وتحميه من طغيان الطبيعة وعنفوانها..

وهذه الحاجة فطرية عند الإنسان، حتى عندما نمت المجتمعات، وقامت الحكومات فالإيمان بالإله الحامى القادر - أمر فى أعماق النفس الإنسانية ، وإن اختلف الفهم فى مفهوم الإله و تصوره.

وتبدو الحاجة إلى التربية الدينية من الناحية الاجتماعية، حيث يحقق الدين كثيرا من الانسجام الاجتماعى بين الناس. ونلمس هذا الانسجام بين أبناء الدين الواحد حينما يجتمعون، إذا فهموا الدين فهماً صحيحاً.

ويمكن القول إن حاجة البشر إلى الدين ترجع إلى العديد من الأسباب. أبرزها ما يلى :

١ - إن كثيرا من الناس -من منطق الولاء لعقيدة أو مبدأ - يضعون لأنفسهم أسلوبا لحياتهم، ونظاما لمعيشتهم، وهدفاً لمسعاهم. وقد يكون مرد تلك الفلسفة إلى نفسه أو إلى غيره، وتتأرجح تلك الفلسفة بين الصواب والخطأ، والقبول والرفض فيصاب الفرد بالحيرة والقلق .فيأتى الدين، ويضع الأسلوب الأمثل، والنظام السليم، ويوجه إلى الهدف الحقيقى ويقضى على هذا التخبط، ويجنب الفرد مشاق التجربة فى الحياة ليصل به إلى الاستقرار والطمأنينة. فعقيدة الإسلام تنظم الحياة تنظيماً سليماً متساويا، وافيا بالمنفعة، قائماً بالفضيلة، بعيداً عن الخلط والفوضى من حيث الدين والدنيا.

٢ - إن الإنسان يحتاج فى كثير من الأمور إلى توضيح الغامض منها، وبيان اللبس فيها وخصوصا فى الأمور التى لا تعتمد على العقل البشرى من مسائل التشريع التى تتعلق ببعض الجوانب المهمة من حياة الإنسان مثل الأسرة، من أمومة و زواج وطلاق، ونفقة...الخ ومثل الأمور الغيبية من جنة، ونار وحساب، وثواب وعقاب ... الخ، ذلك لأن العقل ليس حكما عدلا فى كل المواقف، وإن عدل فيها فمرده إلى كسب شخصى أو منفعة مقصودة، أو هوى ذاتى. إذ العدل عملة نادرة. وواقع الحياة يؤكد ذلك.

وتأتى ضرورة الدين هنا من واقع أنه يمد الإنسان بالمعلومات الصحيحة، والأحكام الحقيقية والتوجيهات المبرأة من الزيف والتشريع المطلوب، فضلاً عن الجوانب الغيبية.

٣ - إن الدين - باعتباره من عند الله - يبين للناس أسلوب التعامل مع الخالق بما يتناسب مع جلال الله وعظمته، ويوضح لهم كيفية عبادته، وإعلان الولاء له، بل وأسلوب التخاطب مع الله، وكيفية مناجاته سبحانه. وهذا التعامل الإلهى - بما فيه من عبودية مطلقة، واحترام لذاته القدسية — إنما يوحى للناس بأن تسرى روح الله فى التعامل مع الخلق إنسانا كان أو حيوانا أو كونا بأسره، احتراما مبنيا على أصول

مرجعية تبين للناس حدود هذا التعامل . والدين بهذه الإشارات قد مس العصب الرئيسى للحياة وهو أن الإنسان - سيد هذا الكون - إذا استشعر ذات الله فى كل تعاملاته المادية و المعنوية - انتظمت حياته ، واتجهت إلى مسارها الصحيح.

٤ - إن الدين — ناهيك عن الأمور الغيبية - مصدر رئيسى من مصادر الأخلاق ، والجوانب القيمة فهو يضع القيم الأساسية و الثابتة للناس التى تنفعهم مؤمنهم وكافرهم ، لأن فى غياب الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والود وسائر القيم الأصيلة ضياعا للإنسان ، وقضاء على أمنه واستقراره . كما أن المجتمع غير أمين فى تقرير بعض القيم الخلقية ، لأن المشرع الوضعى كثيرا ما يراعى مصلحة نفسه فقط ، أو المطالب العارضة.

٥ - إن الدين يبنى الشخصية ، التى لا تظلم ولا تُظلم ، ولا تسكت عن الحق وتعرف واجبها وتؤديه ، وتعرف حقها وتطالب به ؛ انساقا مع طبيعة الإنسان ، وفطرته الأصيلة.

٦ - إن الحقيقة التى يكتشفها العقل المحض لا قدرة لها على إشعال جذوة الإيمان الصادق. تلك الجذوة التى يستطيع الدين وحده أن يشعلها . وهذا هو السبب فى أن التفكير المجرد لا يؤثر فى الناس إلا قليلا ، فى حين أن الدين استطاع دائما أن ينهض بالفرد ، وأن يبدل الجماعات من خلال المناهج الدينية ، التى لها سطوة التأثير ، وقوة الضغط على الأفراد والجماعات.

٧ - إن الناس لتتلهف على دين يتفق وحاجتهم ومصالحهم الدنيوية، ولا يكون قاصرا على إرضاء مشاعرهم وإحساسهم، إنما يريدون أن يكون هذا الدين وسيلة لأمنهم وطمأنينتهم في الدنيا والآخرة . وليس هناك دين تتوافر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سواء الإسلام. أنه ليس مجرد دين فحسب، بل إن فيه حياة الناس ؛ لأنه يعلمهم كيف يحسنون التفكير ويحضهم على فعل الخير، وصالح الأعمال ؛ وذلك سرعان ما شق طريقه إلى القلوب والإفهام. وخلاصة القول إن الدين ضرورة أساسية، لا غنى عنه للفرد أو الجماعة ؛ لأن الحياة لن تستقيم إلا إذا التزم الإنسان به وطبق شريعته ، ونفذ قيمه.

ثالثا : وظيفة الدين:

إذا كانت الوظيفة هى العمل الخاص الذى يقوم به الشئ أو الفرد فى مجموعة مرتبطة

الأجزاء ، ومتضامنة بعضها البعض - فإن الدين يؤدى وظائف عديدة للفرد و الجماعة من حيث إن الإنسان سيد هذا الكون ، وهذه الوظائف تقدم للإنسان ما يساعده على القيام بمهمة التكليف " فالإنسان مخلوق مكلف ، يؤمن أن ارتفاع الإنسان وهبوطه منوطان بالتكليف ، وقوامه الحرية والتبعة . فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة ، وهو بالتكليف قابل للهبوط إلى أسفل سافلين. وهذه هى الأمانة التى رفعته مقاما فوق الملائكة وهبطت به مقاما إلى زمرة الشياطين. ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب : ٧٢)

ويمكن عرض أبرز الوظائف التى يؤديها الدين للفرد و الجماعة فيما يلى :

(أ) في الجانب الاجتماعي :

١ - يحقق الاستقرار الاجتماعى، وذلك بما ينظمه من أمور خاصة بالأسرة وما يتصل بها. ولعل من أهمها التشريعات الخاصة بالزواج و الطلاق والميراث ، وما يتعلق بهما من خطوبة ومهر ونفقة ، وسكن ، وعدة ، وحضانة ، وتعدد الزوجات . ومنها التشريعات الخاصة بالمعاملات كالبيع و الشراء ، والشفعة ، والرهن ، والوصية وغير ذلك.

٢ - يحقق الاستقرار الاجتماعي وذلك باشتماله على القيم والفضائل الروحية والتى هى بالتأكيد أساس الحياة المادية . فتعاملات الناس المادية بالبيع والشراء ، والقرض والهبة وتكوين الشركات ، وإنشاء المؤسسات ، واستخدام البعض للبعض من مالك وأجير وغير ذلك من صنوف المعاملات التى لا حصر لها فى الحياة - لا يمكن أن تبرم وتتم إلا إذا استندت إلى القيم الدينية التى تحض على الأمانة ، والصدق ، والطهارة والوفاء بالوعد واحترام العقود ، وأداء الحقوق ، واليقظة للواجب ... إلى غير ذلك.

٣ - يحقق الاستقرار الاجتماعى وذلك بالدعوة إلى العمل – أيا كان هذا العمل - وتحرى الإتقان، والإجادة فيه ، طالما أنه لم يدخل فى الحدود التى جعلها الله محرمة واعتبار هذا العمل نوعا من العبادة لله ، بل انه يعتبر فى قمة العبادة إذا ابتغى المرء به وجه الله عن أبى هريرة -(رضي الله عنه) - قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا ، فيعطيه ، أو يمنعه" .(متفق عليه). ومعلوم أن العمل هو قوام الحياة ، ولا حياة بدون عمل.

٤ - يحقق الاستقرار الاجتماعى من جهة العمل حيث إنه الإيمان صامتا وناطقا ومجسدا. وعلى قدر ما يعمل المسلم ويقدم من الجهد والجهاد فى سبيل الله ليصلح من أمر نفسه ومن أمر الجماعة - تكون له الحسنى فى الدنيا والآخرة.

٥ - يحقق الاستقرار الاجتماعى ، من جهة أن الدين أداة رئيسية فى التماسك الاجتماعى فهو يجمع المؤمنين به على هدف واحد ، ويرسخ فيهم قيم التعاون والوحدة ومراعاة الجار حتى لو كان غير مسلم ، ومشاركة الآخرين فى السراء والضراء والانتصار للضعيف " انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا يا رسول الله: عرفنا كيف ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما. قال : ترده عند ظلمه .قال تعالى ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

٦ - يحقق الاستقرار الاجتماعى ، وذلك بالمحافظة على مال اليتيم ، بل وتنميته والترغيب فى كفالته والإحسان إليه ، و إلى المستضعفين من المؤمنين . قال (ﷺ): "أنا وكافل اليتيم فى الجنة .هكذا (وأشار بالسبابة و الوسطى وفرج بينهما)" (رواه البخارى والترمذى).

(ب) - في الجانب النفسي :

١ - يحقق الاستقرار النفسى ، إذ إن النفس البشرية السوية، تميل إلى أن تتميز فى جوانب الحياة المختلفة فتحب الصحة ، وتميل إلى التفوق ، وترغب فى الغنى وتهوى الجاه و وتعشق السلطة ، وتجرى وراء الشهرة ، ولا يتحقق كل ذلك مع كل الناس فيرى البعض منهم أن حظه قليل فى الدنيا وأن الحياة لم تواته بكل ما يطلب، فيصاب بالتمزق النفسى، والصراعات الداخلية . ومعروف أن النفس جوهر روحانى محرك للبدن.

والدين فى كل هذه المواقف يحقق للإنسان توازنا نفسيا عن طريق ما يسوقه من علاج نفسى ، وتوجيه إلهى ، صادر من الخالق للخلق ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤). ولعل من قبيل تحقيق الاستقرار النفسى الآية الكريمه : " ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٢). ومنه أيضا قول رسول الله (ﷺ): "يا أيها الناس ! اتقوا الله وأجملوا فى الطلب ؛ فإن

نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، وإن أبطأ عنها . فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم" (رواه ابن ماجه).

وتبرز وظيفة الدين النفسية فى العصر الحاضر من حيث إن وسائل الترفيه المتعددة والإنجازات التكنولوجية المختلفة أصبحت هدفا لكل إنسان، ولكن يعز استحواذ بعضها على بعض الناس ، وفى حمى الدين تخف وطأة الحياة ، وتهون أمور الدنيا ، وتصبح هذه المظاهر أمرا ثانويا ، وبعيدة عن الطلب. ويبدو الحرمان من كل ذلك ، أو بعضه من قبيل الثواب لا من قبيل العقاب فى الدنيا.

٢ - يحقق الاستقرار النفسى لأن أهم خاصية للإسلام أنه عقيده ضخمة ، جادة فاعلة خالقة منشئة ، تملأ فراغ النفس و الحياة ، وتستنفد الطاقة البشرية فى الشعور والعمل فى الوجدان و الحركة ، فلا يبقى فيها فراغ للقلق ، والحيرة ، لا للتأمل الضائع الذى لا ينشئ سوى الصور والتخيلات.

ومعنى هذا أن الإسلام لا يحب من المسلم أن يترك نفسه لنفسه ، حتى لا تتحول تلك الخلوة إلى إهدار لطاقته ، بل يوجهها إلى الله ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٥٢). ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨) .﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٥).

٣ - يحقق الاستقرار النفسى ، وذلك لأن الإيمان بالله الواحد الأحد إيمانا صافيا نقيا يحرر النفس من سيطرة الغير والخوف منه فهذا الغير الذى يخشى منه لا يملك من أمر نفسه شيئاً . فهم ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (الفرقان: ٣)

ويصاحب ذلك إحساس بالذات ، واعتزاز بالنفس ، وقوة فى الشخصية ، واثبات لدوره فى الحياة، ويشعر - من منطلق العدل والمساواة والإخاء - أنه لا يفضله أحد فى بشرية إلا بمقدار ما يقدم من نفع وفائدة مقرونة بالتقوى. فالخوف يقتل العقل ويقضى على الإبداع، أما الحرية فهي تثير ذلك وتنشطه.

٤ - يحقق الاستقرار النفسى ، وذلك لأن الدين يشبع عند المرء حاجته إلى الولاء لفكرة أو جماعة ، أو عقيدة . وهذه الحاجة فطرية عند الإنسان. فهو اجتماعى بنشأته وفطرته يحب الجماعة، ويشعر أن وجوده متوقف عليها ، وهو يميل - أيضا - إلى

أن يرتبط بجماعة تسبغ عليه معتقداتها وتزوده بعاداتها وتقاليدها وهو بالتالى ينتمى إليها بالولاء والإخلاص . والمرء فى إطار الجماعة تسبغ عليه حمايتها.

وهكذا الدين يعطى هذا الإحساس بالولاء . وعملية الانتماء هذه لها آثارها النفسية على الفرد . والولاء لله الواحد الأحد هو قمة الولاء ؛ بمقضى ملكيته للدنيا والآخرة.

(ج) في الجانب الروحي :

١ - الروح ما به حياة البدن.وما جاء به الإسلام هو حياة البدن الحقيقة . والاستقرار الروحى فيه يقوم على الاعتقاد وقوة الإيمان بالله ، والاعتزاز به ، ومراقبته فى السر والعلانية والإيمان بملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الأخر ، وبما بعد الموت من البعث و الحساب و الجنة و النار والثواب والعقاب ، وغير ذلك مما يتصل بالعقائد.

٢ - الاستقرار الروحى يتم عن طريق الدعوة إلى الحب - فمن أحب لله ، وأبغض لله وأعطى لله ، ومنع لله - فقد استكمل الإيمان (رواه أبو داود)

(د) في الجانب الفكري :

الفكر هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها ، وهو يتحقق عن طريق :

١ - أن الدين يضع حدودا فاصلة للمجالات التى يمكن للإنسان أن يمارس فيها نشاطه الفكرى باعتباره مطالبا بالتفكير . ولهذه الحدود ثلاث فوائد :

الأولى — أنه أراح الإنسان من الخوض فيما لا طائل وراءه ولا يمكن أن يفيد منه شيئا . ومما لا يمكن أن يصل فيه إلى شيئ . فما ورد عن الألوهية و الجنة و النار ، والحساب والثواب والعقاب ، وغير ذلك إشارة للإنسان أن يبدأ بعد ذلك ، لأن البحث فى هذه الغيبيات : أصلها وكنهها ، وما تشمل عليه أمر فوق طاقة العقل البشرى . وواجب الإنسان حيا لها الإيمان بها من حيث إنها حقيقة مؤكدة.

الثانية — أن يجعل الحياة مسرحا للخيال . فحين يسمع المؤمن أن الله قد ادخر له ، ما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر ، يجول بفكره وخياله مصورا هذه الجنة ، وقد تحمس للعمل فى الدنيا ، واستجمع كل قوته لعمل الخير ؛ حتى يحظى بتلك الجنة الموعودة . وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (السجدة : ١٧). وبهذا يظل المؤمن في حالة استنفار دائم للعبادة.

الثالثة - أنه - أي الدين - أعطى إشارة البدء فى التفكير فى كل المجالات التى يمكن أن تفيد الإنسان ، وتجعله يشعر فى قرارة نفسه بتكريم الله له ، من حيث إن كل ما فى الكون مسخر له، ليقر فى النهاية بالمدبر الأعلى لهذا الكون وهو الله . والتفكير المؤدى إلى الإنجاز وإثبات الشخصية ، وتنميتها وغير ذلك – مطلب نفسي ضروري ، يعزز الثقة بالنفس ، ويدعم رغبة البقاء فى الحياة . والاستقرار الفكرى بهذه الصورة مدعاة للإبداع العقلى ، والابتكار المتجدد ، ثم الإنجاز العلمى . وهذا الإبداع والإنجاز من شأنه أن **يحقق هدفين فى غاية الأهمية هما :**

الأول : تعميق الإيمان بالله الواحد ، وزيادة الالتصاق به إلها خالقا، وربا مبدعا. جديرا بالخضوع له قلبا وقالبا؛ لأن العبادة لا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود، والخضوع له.

الثانى : تحقيق مزيد من الرفاهية والسعادة للبشر من خلال ما أبدعه العقل ، وما توصل إليه الاختراع . ويبقى بعد ذلك كله أن من المهام الأساسية للدين – أيا كان هذا الدين – أنه القوة الدافعة للعمل والإنتاج ويزيد المنتج دقة وإحسانا . فهو يقف وراء كل عمل جيد ، ويؤكد على كل اتجاه شريف للعمل و العمالة ؛ لأن المطلب الأساسي من العامل السوى – هو توخى رضا الله . واستحضار الرقيب الذى لا يغيب أبدا من حيث هو موجود فى حاضرة ذهنه . والله سبحانه - هو الغنى المعطى والقوى القادر. وعطاؤه ومنعه ليس فيه هوى الأفراد وتقلباتهم ، والله هو الذى يمهل عباده علهم يغيرون ما بأنفسهم . من هنا يكتسب العطاء من الله صفة الثبات حيث يعطى المؤمن و الكافر ، ولهذا كان صاحب العقيدة الثابتة أكثر الناس التزاما بمبادئ دينه ، يطبقها بأمانة فى عمله مهما تضاءل العائد المادى منه ، لأنه يؤمن بأن المقادير كلها فى يد الرحمن . وإذا كان معيار المفاضلة بين الناس يتمثل فى التقوى انطلاقا من الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات :١٣) – فإن التقوى ليست فى القلب فقط ، بل هى إلى جانب ذلك عمل بالجوارح لوقاية الإنسان نفسه من النار . وهذه الوقاية لا تتحقق إلا بالأعمال وكثرة الإنجاز فى الدنيا والدقة فى أداء هذا العمل، لأن الخلافة فى الأرض لا تستمر إلا بذلك، ورحم الله عبدا جعل نطقه ذكرا، وصمته فكرا، ونظره عبرة، وحركته تعبدا، وسلم الناس من لسانه ويده . ومعروف أن العمل،

وما يتفرع عنه وما ينتج عن إنجازه فيه ما يدعو إلى زيادة الإيمان ، والتأكد من عظمة الله فى كونه . أما الذين يدعون الإيمان باللفظ والإعلان عنه دون العمل به – فإنهم محسوبون على الإسلام و المسلمين دينا وعددا وقد يكونون سبة للإسلام، وعارا على الانتماء إليه.

ومن مهمة الدين – أيضا أنه يؤكد فى نفس الفرد الرغبة فى تقديم الخير للناس أقارب أم أباعد ، سواء كان هذا القرب أو البعد فى الزمان ، أو المكان ، أو الجنس ، أو الملة ، أو السن وهذا الاتجاه من الفرد يبعده عن الأنانية ، أو الفردية ،ويقربه من الجماعة ، لأن الإنسان بفطرته أميل إلى الجماعة فى الأعم الغالب . ولعل مما يستنفر الناس إلى تطبيق ذلك ، حديث رسول الله (ﷺ) "خير الناس أنفعهم للناس ". وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج : ٧٧) .

وجدير بالذكر أن تقديم الخير للناس لا يمكن أن يتم إلا فى إطار قيمى مستمد من الدين وليس من عند أحد ، لأنه ليس هناك حق لأحد ما – مهما كان – أن يفرض قيمه على الناس إذ أن قيما بهذا الشكل قاصرة ، وعاجزة ، ومشكوك فيها ، لأن ندية البشر تأبى ذلك ، مهما أحس هؤلاء بالتميز ، أو الصفوة وكثيرا ما ينتهى ما فرضوه بانتهاء حياتهم.

ويمكن تلخيص ما تقدم أن مهمة الدين تكاد تنحصر فى جعل الفرد المسلم مقبلا على ما يلى :

١ - زيادة الرغبة فى العمل ، والتجويد فيه كما قال (ﷺ): " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه . مبدءًا من الصلاة حتى أقل عمل يقوم به الفرد. وإذا كان قياس الغائب على الشاهد مبدأ إسلاميا معروفا – فإن العمل فى الآخر له المكانة الأولى : من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه . وزيادة الرغبة فى العمل و التجويد فيه – يفيد فى شيئين مهمين : متعة إشباع الذات بالنجاح – ثم ما يؤجر عليه من قبل المولى عز وجل ، باعتباره عبادةً تجر نفعا : دينيا ودنيويا.

٢ - القيام بواجب الخلافة فى الأرض . والخلافة ليست بكثرة الكلام والثرثرة ، وإنما بالعمل المعمر ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود :٦١) . والتعمير فى الأرض

يقتضى الإنجاز المادى واللامادى ، وكل ما من شأنه أن يقيم حضارة ، ويؤصل قيما ، فضلا من التزاوج والإنجاب وما يترتب عليه من رجوع النسل إلى الله ، إن لم يكونوا كلهم فعلى الأقل بعضهم يعبدونه – تعالى – ولا يشركون به شيئا .

٣ - تقديم الخير للناس كل الناس ، وليس للمسلمين فقط ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ (المزمل : ٢٠) والخير على هذا النمط أسلوب دعوة وإقناع ، ووسيلة توثق العلاقات الإنسانية . فضلا عن أنها المدخل الصحيح للقلوب المؤمنة وواجهة مشرقة لرسالة الإسلام ، والمؤمنين بها .

٤ - إسعاد الناس ، ووسائله متعددة ، منها : الكلمة الطيبة " و الكلمة الطيبة صدقة " وبيان الحلال والحرام ، والفلسفة التى تكمن وراء ذلك؛ إذ ليس المقصود منها التضييق على الناس ، ومنعهم من الاستمتاع بمباهج الحياة ، وإنما الهدف منها الصحة العضوية والنفسية للإنسان ، ووضع حد للفرق بين الإنسان والحيوان بما يتمتع به هذا الإنسان من قدرة على ضبط النفس وكبح جماحها ، ومعرفة مالها وما عليها ، لأننا لا نعرف حيوانات سائمة تفرق فى رعيها بين ملكية صاحبها ، وملكية الآخرين ، ويدخل فى مسألة إسعاد الناس الجنة و النار ، والثواب والعقاب . وتجنيب المسلم كل ما من شأنه أن يعود بالضرر عليه فى الدنيا والآخرة ؛ إنما هو فى ذاته إسعاد له ،كما يدخل أيضا - فى هذا الإطار إعمال العقل ، للتوصل إلى الإنجاز الحضارى الذى يسبغ على الإنسان راحة وأمنا ، ويشيع فى جوانبه الرحمة والمودة . ويقف خلف ذلك إيمان بالله ، وخضوع لجلاله و عظمته .

وأيا كان الأمر فإن الدين بوظائفه العديدة يحقق ما نزل من أجله ، من حيث إنه يلبى حاجة كل إنسان أقبل على دين الله باقتناع وإيمان . وهذه الحاجات وتلك المطالب تختلف باختلاف الأشخاص ، كما تختلف باختلاف الميول و الرغبات و الزمان و المكان . ووظيفة الدين أن يستوعب كل ذلك دينا ودنيا : للفرد والجماعة بصورة تليق بالإنسان المؤمن بالله ، وتتناسب مع منزلته عند خالقه ، ومن منطق أن الدين يمد الإنسان بالقيم والآداب والمعايير والمعلومات والأحكام ، التى تضبط حركته ، وتربطه بمجتمعه ، وتوثق علاقته بخالقه .

رابعا : أهداف التربية الإسلامية :

يبدو أن أهداف التربية الدينية الإسلامية فى مراحل التعليم العام أهداف نسبية لأنها

ليست كأى مادة دراسية يمكن الحكم عليها ، من حيث تحقيق أهدافها من خلال الاختبارات التى تجريها المدرسة . ومهما كانت قوة هذه الاختبارات وقياس المعلومات لدى التلميذ - وهى ضرورية وحتمية فى العملية التعليمية - إلا أنها ليست هى المحصلة النهائية من هذه المادة ؛ وإنما الأهم من ذلك أن تؤثر هذه المعلومات، وتلك الأحكام الشرعية ، والمعايير الأخلاقية فى سلوك الطالب ، إلى الحد الذى يطبقها فى حياته العامة ،ليس فى الجانب المظهرى أو الشكلى أمام الناس ؛ وإنما - أيضا - فى تغلغل تلك المعلومات فى كيان التلميذ ، بحيث تصبح موجهة لسلوكه فى السر والعلن - ورقيبه على كل تصرفاته فى الإطار السليم الذى بينه الإسلام.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هذه الأهداف - مهما تجمعت فيها من عناصر القوة - لا تغنى الفرد المسلم من محاولة تحقيق هذه الأهداف بعد انتهاء المرحلة الثانوية بحيث تصبح ملازمة له طول حياته وذلك لأن الدين الإسلامى متعدد الجوانب ، متشعب الفروع. والإنسان المسلم - فى حياته اليومية - تعترضه بعض المواقف التى يرى فيها ضرورة الرجوع إلى الدين - وهى تختلف من شخص لآخر - وهو مطالب بأن يرى وجه الحق فيها ، كما أن مواقف الحياة ذاتها قد تجعله يركن إلى الدين ، والبحث فيه ؛ ليحقق لنفسه الراحة والطمأنينة .

ولعل السبب فى ذلك هو " أن الإسلام ليس برنامجا إصلاحيا ، ولا دعوة أخلاقية ، ولا حيلة من حيل الحكم ، أو تدبيرا من تدابير السياسة ، ولا كان نبيه رجلا إقليميا ، ولا زعيما وطنيا ؛ وإنما هو منهج إلهى كامل للدين و الدنيا . من عند الله لا من صنع البشر "

ومع هذا فإنه لا يمنع من تحديد الأهداف فى المجال التعليمى ، لتقديم العقائد والمعارف والسلوكيات التى تفيد التلميذ فى حياته . والتربية الدينية هدفها الأول الإنسان . وإذا كان القرآن الكريم قد ذكر الإنسان بغاية الحمد ، وغاية الذم فى الآيات المتعددة ، وفى الآية الواحدة فلا يعنى ذلك أنه يحمد ويذم فى آن واحد ، وإنما معناه أنه أهل للكمال والنقص بما فطر عليه من استعداد كل منها . فهو أهل للخير والشر ، لأنه المقصود بالتكليف . والتكليف يتطلب تحكيم ما يريده الدين منه ، أو ما لا يريده .

ويبدو من هذا أن الهدف الأول من تدريس التربية الإسلامية ، ولكل منتم لهذا الدين هو تعميق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله و اليوم الآخر ؛ لأن هذا الإيمان هو الموجه الأول للإنسان بحيث يكون سلوكه ترجمة لهذا الإيمان . من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر من آمن جاره بوائقه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . كما جاء فى الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ) . وليس الإيمان بالتمنى ، ولكن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، كما قال رسول الله (ﷺ) . ومعلوم أن سلوك الإنسان ترجمة لما يؤمن به .

إن إمكانية تمرد الإنسان على شريعة ربه أمر وارد ، ولكنه بعد أن يحيد مؤقتا ، ربما يعود فيسلك السلوك السوى . ومن هنا ؛ فإن من أهداف تدريس التربية الإسلامية . إمداد المتعلم بما يمكن إمداده من القوانين الإلهية ، والأحكام الشرعية ، لتكون بمثابة المعيار الصحيح يعود إليه حين تلتبس عليه الأمور ، كذلك من أهداف تدريس هذه المادة - إن جاز التعبير لأنها ليست مادة دراسية بالمعنى المتعارف - إعداد المتعلم إعدادا يتمكن به من الرجوع إلى أمهات الكتب الدينية ، حين يفتقد وجود هذا المعيار فى نفسه .

ويبدو أن تحقيق الهدف النهائى من تدريس التربية الإسلامية - أمر لا يدخل فى عداد المستحيلات ، لأن الهدف النهائى والحقيقى هو الالتزام الكامل بشرع الله وحدوده . ويبدو أن هذا الالتزام قد يتعارض مع طبيعة البشر ، باعتبارهم ضعفاء أمام المواقف الحياتية ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨) ، وندر من لا يخطئ ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾ (فاطر : ٤٥) ، فضلا عن أن العقيدة - وموطنها القلب - لا يطلع عليها أحد إلا الله ﴿ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنُّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ (النحل : ١٠٦) ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ ﴾ (الحجرات : ١٤) . ومن هنا يمكن القول: إن تحقيق الهدف من تدريس التربية الإسلامية إذا أينصرف إلى الجانب التعليمى ، فإنه من الممكن أن يتعدى ذلك إلى الجانب الإيمانى وهو أمر لا تطوله عملية التقويم التى يخضع لها . الجانب التعليمى ؛ إذ لا تلازم بين المعرفة والإيمان ، أو بين المعرفة والعمل ، وأيضا لا تعارض بين ما هو راهن ، وما هو مرغوب فيه لأن فهم تلك الفجوة يثير الدافع فى الفرد ، لكى يشغل نفسه بأنشطة التعلم ، كما يفيد فى تقدير الحاجات التعليمية و سواء أكان مؤداه بواسطة المتعلم أم بأى واسطة أخرى .

ويغلب على أهداف التربية الإسلامية الأهداف الممتدة ، وهى التى تلازم الإنسان أينما كان ، وفى أى زمن . وقد يسقط الهدف المعرفى فى الطريق ، ولكن الهدف

الوجدانى باق أبدا . فمعرفة المسلم الفروض ، والنوافل مثلا جانب تحصيلى و لكن التحصيل لا يعنى تحقيق الهدف . فقد يعرف كيفية الصلاة ، ولكنه لا يصلى ، وقد تتحقق لدى المسلم مهارة القيام بالشعائر . ولكنه لا يؤديها . وحتى إذا أداها يمكن ، أن يكون هذا الأداء أداءً شكلياً . والأحاديث فى ذلك كثيرة : "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش " . " وليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها " . ورب صدقة ، أو حج ، أو عمل ظاهره عبادة ، ولكن لا ثواب عليه . فقد يكون رياء أو غير ذلك . والعبرة بالنية ، " إنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ... إلى آخر الحديث.

وبناء على ذلك فإن الهدف المتوقع تحقيقه على المدى القريب - فى التربية الإسلامية - هو الهدف التحصيلى، وقد يصاحبه هدف وجدانى، ولذلك " فإن العبارات التى تصاغ بها أهداف التعليم ، عادة ما تستخدم مصطلحات مثل : يكتب، يحل ، يقارن ، والتى ينبغى أن تحدد بوضوح ... ومثل هذه الأهداف الواضحة المعالم يمكن أن تتلاءم مع أى عوائد تعليمية بما فى ذلك التذوق والاستحسان ، وليس مجرد الأداء ... ويفكر المتمرسون فى وضع الأهداف بأساليب فيها إضافة " إلى حد ما " لأن ما ينبغى أن يكون ، يتعذر الوصول إليه بالمعنى الحقيقى.

وتحقق التربية الدينية أهدافها إذا راعى منهجها خصائص التلاميذ فى مختلف المراحل التعليمية بحيث يكون مناسبا لأعمارهم، وملبيا لحاجاتهم ومطالبهم : لأنهم المستفيدون منه وكذا المادة المقدمة لهؤلاء التلاميذ، بحيث لا تقل عما يمكن أن يصل إليه التلميذ بنفسه أو بوسائل التربية الأخرى مثل المسجد، أو أجهزة الإعلام، أو نادى المسلم الصغير ، أو غير ذلك كما لا تزيد عن مستواهم بحيث تدفع التلميذ إلى الإعراض عن دروس التربية الدينية ، ثم الأوضاع الثقافية والاجتماعية التى يعيش فيها هذا التلميذ ، بحيث يتضمن المنهج بعضا من القضايا أو المشكلات الدينية المطروحة، والتى يمكن من خلالها استثارة هذا التلميذ إلى البحث والتأمل ، ومحاولة إيجاد الحلول لها ليدرك فى النهاية أن دين الله مجال رحب يمكن أن يجد الإنسان فيه نفسه ، روحا وعلما، وخلقا، وسلوكا وإشباعا لما يمكن أن تتطلع إليه النفس البشرية.

ويمكن القول: إن أهداف التربية الدينية الإسلامية تنحصر فى بناء الشخصية المسلمة وإعدادها إعدادا مبنيا على أصول الإسلام وقواعده بحيث تتمكن من التفرد والاستقلال وتتجنب عوامل الضعف والتمزق ، وتصبح حياة المسلم حيزا يتجلى الله فيها بالحق والخير

والجمال أو بمعنى آخر إيجاد المسلم العابد بمفهوم العبادة بمعناها العام . وهذه الأهداف يجب أن تضع التلميذ ونموه ، والمادة المقدمة ، والمشكلات المعاصرة فى المقام الأول .

ويتفرع عن هذا عدة أهداف . أبرزها ما يلى :

١ -تحقيق الوحدة الفكرية القائمة على وحدة العقيدة . والوحدة الفكرية من أقوى نماذج الوحدة، لأنها قائمة على العقل، وإعمال الفكر، بالنظر فى الدلائل، والتدبر فى العواقب .

٢ - كشف الكامن الفطرى الدينى المتأصل فى النفس البشرية ، وإتاحة الفرصة له، لكى ينمو فى الاتجاه الصحيح. وفطرة البشر تطلب ديناً تستمد منه ما هو ألصق بمصالحها وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها. والإنسان قادر على بلوغ الكمال إذا ما وجد من العناية والتربية ما يساعده على ذلك .

٣ - ترسيخ عقيدة التوحيد لدى النشء بما يتناسب مع مظاهر النمو المختلفة ، بحيث يحل الإيمان واليقين محل التقليد والمحاكاة .

٤ - تكوين الفكر الإسلامى الواضح فى ذهن الأفراد، وذلك فى ضوء فلسفة الإسلام نحو الكون والحياة والناس دون نظر إلى خلافات مذهبية أو طائفية .

٥ - تأكيد حرية الفكر، واستقلال العقل فى النظر، ودعم استقامة الطبع، وما فيه من إنهاض العزائم إلى العمل، ودفعها إلى السعى فى الحياة .

٦ - تنمية النواة الأولى لمرحلة التجرد بحيث يتوجه المسلم بعمله كله إلى الله لا إلى المقاصد الذاتية، أو الأغراض النفعية، أو الطموحات الشخصية. وقوام هذا التجرد، الحب لله والكره لله ، والعمل لله.

٧ - زيادة اتصال النشء بالقرآن الكريم: حفظا وتلاوة، والتدبر فى معانيه، والوقوف على أحكامه، والرجوع إليه لإسعاد النفس البشرية، والقرب من الله وتهذيب النفس، وتربيتها على الكمالات .

٨ - وقوف التلميذ على الأحاديث النبوية الشريفة. وما فيها من أحكام، و آداب، ومثل عليا .

٩ - الاقتداء بسيرة الرسول (ﷺ)، وسير الأئمة العظام من المسلمين الذين كانوا علامة بارزة فى التاريخ الإسلامى. أدبا، وعلما، وخلقا، وسلوكا للوقوف على الجوانب المختلفة لتلك الشخصية، والتأسى بهم فى النواحى التى يميل إليها النشء .

١٠ - إمداد التلميذ بالمعلومات الدينية الخاصة بالعبادات والمعاملات وغيرها ليتسنى له ممارسة تلك العبادات، وأداء نسكها بالطريقة السليمة ، والاندماج فى حياة المسلمين.

١١ - تنمية القيم الخلقية عن طريق المصادر الأصلية للتربية الدينية وهى : القرآن الكريم والحديث النبوى بما فيها من العقائد ، والعبادات ، والسير ، والتهذيب ، والقضايا التى تهم الإنسان .

١٢ - تزويد النشء بطائفة من الحقائق الدينية التى تساعدهم على تثبيت العقيدة ، وعلى مقاومة التيارات المغرضة ، ومغريات الخروج عن القيم الروحية ، وعلى المزيد من فهم أسس المجتمع ، والعلاقات بين الناس ، وعلى تعرف العالم الإسلامى ، وما بين أبنائه من صلات.

وقد انتهت لجان تطوير المناهج إلى وضع الأهداف العامة للتربية الإسلامية لمرحلة التعليم الأساسى وهذه الأهداف هى :

١ - يحفظ المعلومات والنصوص الخاصة بالعقيدة، والرسل، والرسالات، وأركان الدين.

٢ - يتذكر المعلومات الخاصة بالعبادات كما وكيفا، وما يلزم لأدائها.

٣ - يتذكر مع - الفهم - النصوص الموضحة لعلاقة الفرد بربه ، وبغيره ، وبأسرته وبمجتمعه.

٤ - يعرف تطور الأمة الإسلامية من حيث التكوين ، والتراث ، والمثل .

٥ - يتعرف على بعض الشخصيات الإسلامية

٦ - يتجاوب مع الأحداث تجاوب الواثق بنفسه ، وبغيره ، لإيمانه بمنهج ربه.

٧ - يقدر أهمية المنهج العلمى فى الانتفاع بروح الدين واتجاهاته التى تدفع إلى المعاصرة والإصرار على التقدم.

٨ - يتخذ من مظاهر الكون دليلا على قدرة الله وعظمته ، ويربط التربية الإسلامية بالمواد الأخرى.

٩ - يعتقد فى ضرورة الربط بين الدين ووسائل المعرفة الأخرى مما يعينه على تفسير ظواهر الطبيعة.

١٠ - يحب أداء واجب الجماعة فى تقدير واحترام ، مقدراً لحرمة المال العام .

١١ - يؤمن بضرورة الدفاع عن أرض الإسلام والمسلمين ، ويعرف أن الإسلام يحث على الانتماء للوطن ، ومكارم الأخلاق .

١٢ - يحب العمل فى سبيل الله .

أما فى المرحلة الثانوية فإن الهدف من تدريس التربية الدينية بالإضافة إلى ما سبق ما يلى :

١ - القضاء على ظاهرة الاهتزاز الدينى لدى المراهقين من خلال حالات الشك التى قد تساورهم.

٢ - دعم ظاهرة اليقظة الدينية لدى طلاب تلك المرحلة ، وتوجيهها إلى المسار السليم.

٣ - ترسيخ القيم الدينية التى تناسب مرحلة نمو هؤلاء الطلاب.

٤ - تهيئة هذا الطالب من الجانب الدينى إلى الدخول فى جماعة الراشدين.

٥ - مناقشة بعض القضايا المعاصرة ، ومعالجتها معالجة مقنعة ، وبيان وجه الحق فيها.

خامساً : طبيعة الدين الإسلامى :

الدين الإسلامى خاتم الأديان ، وقد سبقته رسالات أخرى ، كانت إرهاصات لهذا الدين.

ولعل حكمة الله اقتضت أن يعالج الإنسان من قبل ربه شيئا فشيئا ، فكان تسلسل الأديان كل منها يفتح الطريق للآخر، ويمهد له، تمشيا مع سنة الله فى التطور ومع الناموس الطبيعى للحياة .

وكان المجتمع البشرى قد أعدته الحوادث الماضية إلى رشده، فجاء الإسلام يخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم، ويشركه مع العواطف والإحساس فى إرشاد الإنسان إلى سعادته الدنيوية والأخروية . فرفع كل امتياز بين الأجناس البشرية، وقرر لكل فطرة شرف النسب إلى الله فى الخلقة، وشرف اندماجها فى النوع الإنسانى. ودعا إلى البصيرة فى الدين وإقامة العدل وتحرير الأرقاء، وحفظ العهود والمواثيق والصدق فى القول ، والسداد فى العمل، والبعد عن الخديعة، والغش ، والنصيحة لله ولرسوله .

معنى هذا أن الدين الإسلامى دين شامل لشتى مظاهر الحياة الدينية والدنيوية، حيث حدد وظيفة الفرد، وأكد دور الجماعة، وتناول الحياة كلها، والكون بأسره، وجعل السيادة فى هذا الكون للإنسان، وفى مقابل هذه السيادة حمله الله الأمانة.

ولما كان الدين الإسلامى منهجا إلهيا فقد يكون من المتعذر تحديد طبيعة هذا المنهج تحديدا شاملا ؛ لأن طبيعة الشئ ما هى إلا مجموع ما يتميز به هذا الشئ من المظاهر والخصائص التى تبرز الخواص النوعية له ، كطبيعة الحياة ، وطبيعة النفس ، وطبيعة الفرد والمجتمع . فطبيعة الشئ -إذا - هي سر نموه وتغييره وحركته.

وتتجلى طبيعة الدين الإسلامى فى ثلاثة مظاهر : مظهر إلهى ، ومظهر إنسانى ومظهر كونى ، والمحصلة النهائية لتلك المظاهر كلها مجتمعة تكون طبيعة هذا الدين وفيما يلى عرض لتلك المظاهر .

المظهر الأول : **الوحدانية** : وهى تفيد نفى الأشكال والنظراء ولا تستعمل فى غير الله . وفى الصحيح عن النبى (ﷺ) أنه قال : " من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله - حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل - وهى لب هذا الدين وأساسه ، ولهذا احتلت مركز الصدارة فى القرآن الكريم منذ بدء الدعوة المحمدية . وأكد القرآن على هذه القضية باعتبارها البداية الأولى لتحرير الإنسان من نفسه ومن غيره .

فالولاء لله الواحد يحمى الفرد من الذل والمهانة ، ويجعله فى موقف القوى . والعبادة الخالصة لله تبعد الفرد عن عبادة العبد ، وكذا عبادة النفس ، لأن وقوع الفرد فى أسر هذا أو ذاك هو الذل بعينه . وتحرير الفرد من نفسه ومن عبد مثله ليست منفعته قاصرة عليه وحده فقط ، بل إن فائدته تتعداه لتعم الجماعة بأسرها ، إذ أن الخوف يحطم الفرد ، ويبدد طاقته ويعوقه عن الانطلاق ، ويحرمه من الإبداع.

والوحدانية ترفع شأن الإنسان ، وتسمو بقيمته وهى بداية العقيدة الصحيحة إذ أن العقيدة الصحيحة هى الضابط الأمين الذى يحكم التصرفات ، ويوجه السلوك ، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات ، بل حتى الخلجات التى تساور القلب ، والمشاعر التى تعتمل فى جنبات النفس ، والهواجس التى تمر فى الخيال هذه كلها تتوقف على رسوخ العقيدة وصدقها .

والتربية الدينية من هذه الجهة ليس مهمتها فقط أن تلقن النشء " لا إله إلا الله " وإنما تعمل على أن يترجم هذا المعتقد إلى سلوك يمارسه الفرد فى حياته اليومية مع النفس ومع الغير.

وعقيدة التوحيد تعطى لكل شئ حياة ، ولكل شئ معنى فهى تربط الإنسان بأصله وبغايته معا ؛ انطلاقا من أركان الإسلام الخمسة : فالجهر بالعقيدة وهى الشهادة بأن لا

إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله يجعل للكون بأكمله معنى ، إذ يتجلى المطلق فى النسبى على شكل إشارات ورموز . وهى السبيل لتمييز الظاهر الحقيقى من اللاحقيقى ، وشطرها الأول " لا إله إلا الله" ، وشطرها الثانى " محمد رسول الله" ، هما ربط كل شئ فى الطبيعة والتاريخ بمصدر وغايته : بالله ورسالاته وآياته . عد إلى ذاتك تجد الوجود كله مختصرا فيك.

إن الطبيعة والبشر تماما ككلام القرآن هم ظهور لله، وتجل لعظمته ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء : ٤٤).

والصلاة هى المشاركة الواعية من الإنسان بهذا التسبيح الذى يربط كل مخلوق بخالقه .

والصوم إيقاف طوعى للإيقاع الحياتى ، وتوكيد لحرية الإنسان بالنسبة للأ " أنا" ولرغباتها.

والزكاة ليست تسولا ، وإنما هى ضرب من العدالة الداخلية ، أعطيت صيغة المؤسسة ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة : ١٠٣).

والحج إلى مكة لا يجسم الحقيقة العالمية للأمة الإسلامية فحسب ، بل إنه يحيى فى داخل كل حاج الرحلة الداخلية نحو مركز ذاته .

وخلاصة القول: إن الإسلام دين الوحدة بين القوى الكونية جميعا. فلا جرم هو دين التوحيد: توحيد الإله، وتوحيد الأديان جميعا فى دين الله، وتوحيد الرسل فى التبشير لهذا الدين الواحد منذ فجر الحياة ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون: ٥٢) كما أنه دين الوحدة بين العباد والمعاملة، والعقيدة والشريعة، والروحانيات والماديات، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية، والدنيا والآخرة والأرض والسماء. فهو دين متكامل من جميع نواحيه ليس للإنسان فحسب بل للكون كله .

وما من مسلم يدين بصورة جسدية للإله الواحد الأحد الذى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى : ١١) والإنسان مخلوق يتوقع أن يكون صورة كاملة من الصفات الحسنى فى مثلها الأعلى . محبة وكرم ، وعلم ، وعمل ، ومشيئة ، ومجد ، وعظمة ، وفتح وإبداع ، وإنشاء . وكل صفة من هذه الصفات مطلوبة من الإنسان على غاية ما يستطيع . ذلك هو الإنسان فى عقيدة الإله الواحد الذى لا أول له ولا آخر .وذلك هو الإنسان فى عقيدة النبى الصادق الأمين. نبى يدعو إلى رب العالمين.

وتبدو عقيدة التوحيد الخاصة فى علاقة العبد بربه حيث الاتصال المباشر ، بلا واسطة وبلا وسيلة . إنسانا كان أو غيره ، لأن الوحدانية منزهة عن الشريك والمعين . ومن هنا فلا حجر على مؤمن فى اتصاله بربه قربا وعبادة . ومن ينصب نفسه واسطة بين الخالق والمخلوق فهو فى نظر الدين كذاب ودجال يستخف بعقول الناس ، ومن يتقبل هذه الشعوذة من الناس فإنما ألغى عقله ، وأوقف تفكيره وعطل الأداة الحيدة التى تميزه عن غيره من المخلوقات .

وإذ كان هناك من المؤمنين من اختارهم الله - تكريما منه وتفضيلا - كالأولياء والصالحين فإن منفعته لا تتعداه إلى غيره بل هو فى مجال الأسوة فقط ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور : ٢١) . حتى تظل الوحدانية منزهة نقية ، بعيدة عن الشرك والشريك .

المظهر الثانى : المظهر الإنسانى تبدو طبيعة الدين الإسلامى من الجانب الإنسانى فى محاور متعددة لأن الإسلام قدم لنا كمسلمين كل المفاهيم والقيم والتفسيرات لمختلف قضايا المجتمع الإنسانى ، والأخلاق والنفس على نحو يناسب الطبيعة البشرية ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) . عن سليمان رضى الله عنه . قال : قيل له قد علمكم نبيكم (ﷺ) كل شئ ، حتى الخراءة . قال أجل ! نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، وأن نستنجى باليمين ... الخ (مسلم رقم : ٢٦٢) . فيه السماحة والبشر ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥) ومن قبول الاضطرار والمغفرة عند الإساءة ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٧٣) ﴿ إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ (النحل : ١٠٦) والتوبة من الذنب دون يأس ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣).

ولما كان المقصود بالرسالات السماوية عموما هو الإنسان فإن الإسلام قد لبى حاجات هذا الإنسان ومطالبه بشكل يعبر عن طبيعته ، ولم يخرج به عن الحد الذى رسمه الله له ، ليمهد له بأن يكون خليفة فى الأرض .

وتتعدد جوانب الإنسان. فمنها الفطرى، والروحى، والاجتماعى، والسياسى والاقتصادي وهذه الجوانب ليس بينها حدود فاصلة ، بل هناك تداخل بين جانب أو أكثر . ومحاولة الوقوف على طبيعة هذه الجوانب فى الإنسان بالشكل الذى رآه الإسلام يساعد

من يتصدى لتدريس التربية الدينية ، أن ينفذ إلى أعماق النشء ، ويحق الأهداف من تدريسها .

أ ـ الجانب الفطرى :

والفطرة تعنى الجبلة أو الخلقة التى يكون عليها كل موجود فى أول خلقه. وقيل: إن الفطرة هى الإسلام ، أو هى ما أخذه الله على ذرية آدم من الميثاق، وهى تعنى قبول ما يتفق مع النفس السوية ورفض مالا يتفق معها . ففطرة الإنسان السوى - حتى ولو كان كافرا - تقبل العدل، وترفض الظلم، تقبل الإنصاف، وترفض المحاباة، تقبل المساواة ، وترفض التميز . تقبل الصراحة، وترفض المواربة. تقبل الشجاعة وترفض الجبن . "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة". فكل مولود ابن فطرته التى تتحرك بحتم داخلى وبتوجيه ذاتى فيها، إلى غايات نموها. وكمالها: عبوديتها لله بالتقوى ، وعبودية الإحسان.

والفطرة بهذا المعنى مزيج من العقل والعاطفة . كل جانب منها يؤازر الآخر . وهى عند " ديكارت " استعداد لإصابة الحكم ، والتميز بين الحق والباطل .

وقد واجه الإسلام فطرة الإنسان بأسلوب المصارحة ليس فى مجال ممارسة الحياة اليومية فحسب، وإنما فى أمور العقيدة ، وصلب الرسالة حيث نهى الرسول (ﷺ) عن الجدل فى بعض الأمور مثل معرفة كنه الله تعالى ، فأمر الصحابة إذا قادهم الشيطان إلى التفكير فى الخلق ، ثم إلى التفكير فى الخالق بحيث يجعلهم يتساءلون . هذا الله قد خلق الخلق . فمن خلق الله ؟ أمرهم (ﷺ) عندئذ أن يستعيذوا بالله من الشيطان ، وأن يقول كل منهم: آمنت بالله ففى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : "لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق . فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله". ذلك أن الإحاطة بذات الله تعالى أمر يخرج عن طاقة البشر، ويستعصى على العقل الإنسانى فهمه . وكما أن الله قد خلق البشر وجعل لهم طاقة بدنية محدودة ، فكذلك جعل لعقولهم حدودا لا يمكن تجاوزها ، ولذلك قال تعالى ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥) وقال تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام : ١٠٣) .

وحين تصفو فطرة الإنسان ، وتسمو إنسانيته ، وتبعد عن نفسها المفاهيم الخاطئة والأقنعة الزائفة يصبح بمقدورها الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم منها إلى معرفته ، ولم يفض عليه مع هذا الشعور عرفان بذات ذلك القاهر ، ولا صفاته.

وكما أن فى فطرة الإنسان أن يؤمن بوجود أشياء تصل إليه عن طريق الحواس . كذلك فى فطرته أن يؤمن بأشياء لاتصل إليه عن طريق الحواس . وتلك مزيته الكبرى على عالم الحيوان.

والإنسان أكرم على خالقه – جلت حكمته ، وعزت قدرته – من أن يكلفه دون أن يمده بمقومات واستعدادات إدراك هذا التكليف ، واستعدادات نهوضه بمهامه وتبعاته ثم استعدادات الحساب على قدر التوفيق فى امتحان التكليف وابتلائه . التكليف هو القدرة على الاستماع إليه ، ثم القدرة على القيام به ، ثم المواجهة الواعية للمساءلة والحساب ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ (البقرة :٢٨٦). والحاسة الأخلاقية المغروسة فى صميم جبلة الإنسان وفطرته هى الأصل فى هذا التكليف ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (الروم : ٣٠). ومعنى هذا أن الشريعة لا تحكم بوجود الخير إلا ما يوافق الفطرة التى فطر الناس عليها ولا يوجد الشر إلا فيما يخالفها ، بل أن المعروف ما تعرفه – وظلت تعرفه –الفطرة الإنسانية وترى فيه لنفسها الرشد والسعادة من المكارم والفضائل والحسنات . وإن المنكر ما تمقته – وظلت تمقته – الفطرة الإنسانية وتؤدى به إلى الرذائل والخبائث والسيئات.

والدين الإسلامى بهذا الاعتبار يعترف بدوافع الفطرة عند الإنسان ، ينميها ويقويها ويجعلها مطلوبة جميعا . إنه يريد للإنسان أن يأكل ويشرب ويأمره بذلك أمرا ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (الأعراف : ٣١) ويأمره أن يقضى ضرورة الجنس " فمن رغب عن سنتى فليس منى" ويبيح له أن يمتلك ، وأن يقاتل ، وأن يبرز وأن يختار الأيسر " ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل " (صحيح البخارى حديث ٢٣٢٧) وقوله (ﷺ) لأبى موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل – رضى الله عنهما – حينما بعثهما لليمن : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا "ولن يستطيع أن يبنى ويعمر ويمشى فى مناكب الأرض ، ويستغل طاقاتها المزخورة ، ويتعرف على قوانين الكون ، وينتفع بها إلا أن يكون قوى الكيان ، قوى الدوافع مقبلا كل الإقبال على الحياة.

بـ الجانب الروحى :

وتتحقق تلك الخاصية من الوجهة الدينية أن يتوجه المسلم فى كل عمل يعمله ، أو نية تعتمل فى صدره إلى الله تعالى . والمسلم من هذه الجهة إنسان ربانى ، إذا جند نفسه لله

وجردها من كل ما يعوق حركتها ، وربطها برباط المصلحة . وهو بهذا الاتجاه يحقق معنى العبادة فى معناها السامى ، والعمل فى توخيه رضا الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) والعمل فرع من العبادة .

وتكمن قوة هذا الجانب فى التربية الإسلامية أن المسلم إذا أنكر ذاته ولم يربط علاقاته بالناس برباط المنفعة ، وارتفع بنفسه عن مفهوم " العطاء مقابل الأخذ " لأصبح كل المسلمين فى جانب المعطى . وهو هدف لا يمكن تحقيقه،من خلال مسلمين أداروا وجوههم للدنيا من أجل الدنيا ، وإنما أقبلوا عليها من جهة الدين ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦٣).

وتتحقق طبيعة الدين من جهة أنه لا ينسى الدنيا. وهو ما تعبر عنه التربية الحديثة بالغرض النفعى أو الإعداد للحياة .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا رهبانية فى الإسلام ، ولا تفرغ للعبادة وترك العمل . وفى المقابل ليس من الإسلام فى شئ ما هو دنيا فقط ، بحيث يصبح هم الفرد جمع المال، وإشباع الشهوات ، والتمتع بأطايب الحياة ، ولكن المسلم الحق هو الذى يجمع بين الدين والدنيا ليحقق خلافة الله فى الأرض وعمارتها ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود : ٦١). والعمارة الحقيقية لهذا الكون لن تتحقق إلا بالجمع بين الدين والدنيا، ومحاولة الوصول إلى تطبيق القيم المطلقة قدر الإمكان .

ويمكن القول: إن الجانب الروحى هو ذلك الجانب المعنوى الذى يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية الخالدة . فمثلا حينما يؤثر المسلم أخاه المسلم نقول: إن روح الإيثار هى السائدة . وحينما يواد المسلم أخاه المسلم لله نقول إن روح المودة هى السائدة بين المسلمين وهكذا . والجانب الروحى بهذا المعنى رباط قوى يجمع المسلمين على الحب والإخلاص، لأن الروابط المادية التى تجمع بنى البشر بعضهم ببعض قد تكون روابط هابطة. فرباط المنفعة أساسه الأخذ والعطاء، وهو الحد الأدنى لبقاء العلاقة، وتزيد هذه العلاقة أكثر إذا كان جانب الأخذ أكثر. حينئذ يحافظ عليها هذا الطرف أكثر من الآخر. أما رابطة عصبة الروح ففيها معنى التسامى بالإنسان، والارتفاع عن المألوف. وتكتسب هذه العلاقة قوة أكبر وأبقى إذا كانت خالصة لله. ومعنى هذا أن الإنسان الروحى هو الذى يأخذ المعارف العقلية، فيوقع بينها تأليفات وازدواجيات، ويستنتج منها معانى شريفة، ثم إذا استفاد بنتيجتين مثلا ألف منهما نتيجة أخرى و لا تزال تتزايد كذلك إلى غير النهاية.

أما رابطة الجنس واللون والغنى وكل الأشكال العارضة ، والتى تخرج عن ذات الفرد وطاقته فهى رابطة ضعيفة تحمل فى ثناياها إهدار قيمة الإنسان من حيث هو إنسان ، وتحطم معنى المساواة التى يتطلع إليها الإنسان حتى لو كان يدين بدين سماوى أو غير سماوى .

وعصبة الروح أو عصبية الروح من المعانى التى لا تجد قبولا لدى البعض – مسلمين وغير مسلمين – كما توحى بالتخوف من المؤمنين بها ، بل قد يثور بعض الناس ضد هؤلاء وضد اتجاهاتهم .

والواقع أن عصبة أو عصبية الروح إنما كانت سببا فى إحياء قوميات وشعوب فقدت كيانها ولا أدل على ذلك من الكيان الصهيونى الذى اعتمد ويعتمد فى بقائه واستمراره على تأصل جانب الدين عند اليهود ، وإشعال عصبية الروح عندهم . وحينما يأتي المسلمون ويمارسون هذا الذى يمارسه غيرهم يفسر ذلك بأنه تعصب ممقوت ، واتجاه غير حضارى ، مع إنه فى الأصل دعوة إلى الوحدة والتمسك.

وتجدر الإشارة إلى أنه " ما من أمة فى الدنيا تهتم بلغتها ودينها اهتمام اليهود بهما فاليهود يعتبرون الدين واللغة الركنين الأساسين لدولتهم ، ولذلك نجد التعليم الدينى مسيطرًا على أنظمة التعليم المختلفة سواء كان التعليم الرسمى الذى تشرف عليه الدولة أو التعليم شبه الرسمى ... وقد عبر عن ذلك أحد عمداء الجامعة العبرية حين قال : " أن اكبر كمية فى الدراسة هى الثقافة العبرية الكلاسيكية ، كما هو معبر عنها فى التوراة ، وفى الأدب العبرى القديم والحديث ، وهذا هو الحبل المشترك القوى والإنسانى الذى يوحد جميع اليهود ويكون لهم تقاليدهم المشتركة ، وقد خصص لهذه المواضيع بين الثلث إلى نصف وقت التدريس .

وحينما يؤخذ الجانب الروحى فى الاعتبار فى مجال الدراسة فإنما يقصد به حماية المؤمن وغير المؤمن ، لأن فى استيعاب هذا الجانب وفهمه ، وتطبيقه صمام أمان للفرد والمجتمع ، إذ يمنع تسرب الأفكار الدخيلة ، ويصد التيارات الوافدة ، ويصون العقل من الخرافات المدسوسة.

إن الإسلام اعتمد على رابطة الروح والعقيدة كأساس لإيمان المؤمن و لأن فيه قوة للمسلمين باعتبارها رابطة إنسانية محضة ، إذ تميز الإنسان عن الحيوان ، كما أن فيها عزة للمسلمين لأنها تلغى الفواصل التى اختلقها البشر ، واستخدموها بهوى وأنانية. وفى

الحديث الشريف " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " .

فبقاء القرآن على وجهه العربى يجعل المسلمين جميعا على اختلاف ألوانهم من الأسود إلى الأحمر كأنهم فى الاعتبار الاجتماعى ، وفى اعتبار أنفسهم جسد واحد ، ينطق فى لغة التاريخ بلسان واحد . ومن ثم يكون كل مذهب من مذاهب الجنسية الوطنية قد زال عن حيزه، وانتفى من صفته الطبيعية ، لأن الجنسية الطبيعية التى تقدر بها فروض الاجتماع ونوافله إنما هى فى الحقيقة لون القلب . لا سحنة الوجه.

والتأكيد فى التربية الإسلامية على جانب الروح يخلق فى النشء ولاء لعقيدة التوحيد ، ويحميهم من التفكك والضعف ، ويبعد عنهم مخاطر التعصب الممقوت الذى لا سند له إلا الشهوات والطموحات الذاتية ؛ إذ أن الإيمان الحقيقى هو ذلك الإيمان النقى الخالص البرئ من التعصب والبعيد عما لا سند له من الدين .

جـ- الجانب الاجتماعى :

ويظهر فى أن حاجة بعض الناس إلى البعض الآخر صفة لازمة فى طبائعهم ، وخلقة قائمة فى جوهرهم ، وثابتة لا تزايلهم ، ومحيطة بجماعتهم . ولم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له . فأدناهم مسخر لأقصاهم . وأجلهم ميسر لأقلهم . والمتأمل فى الجانب الاجتماعى يجد أن هناك تداخلا بين الجوانب المختلفة فى الإنسان. فقد يكون الجانب الاجتماعى اقتصاديا أو العكس ، انطلاقا من وحده الإنسان والتى هى بدورها صورة من وحدة هذا الدين وتكامله . ولعل من أبرز طبيعة الجانب الاجتماعى ما يلى :

(١) **العلم:** هو الإدراك مطلقا ، تصوراً كان أو تصديقاً ، يقينا كان أو غير يقينى . وجوهره الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء ، وشرطه أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتعميم . وهو الأداة التى يستثمر بها الإنسان ما استخلفه الله فيه من موارد الأرض ، وهو أساس الحياة الدنيا على الطريق الواضح الذى يقودها إلى الحياة الآخرة وهو من مسائل تثبيت الإيمان وتقويته ، ولذلك دعا الإسلام إليه . ولا تكاد تخلو آية من آيات الكتاب الكريم من إشارة أو توجيه إلى التفكير والتأمل.

قال أبو الدرداء : " الناس عالم ومتعلم . ولا خير فيما بين ذلك . وهو إلى جانب ذلك حاجة نفسية من حاجات الإنسان " .

ولاشك أن الإنسان كلما تعمق فى العلم، وأدرك الكثير من أسراره كشف له ذلك عن قدرة الخالق العظيم واجتذب العقلاء إليه ، يتساوى فى ذلك كل علم أعمل الإنسان فيه عقله ، ووجهه إلى الجانب المفيد من الحياة : دينا ودنيا .

ومع أن الإسلام قد ترك الباب مفتوحا لكل طالب علم حسب ما يميل إليه ، إلا أنه فى حالة ضرورة علم ما فى حياة المسلمين ، يتوقف عليه حياتهم ، وليس بين المسلمين من يعلمه - فقد أدخله الإسلام من باب فرض العين ، انطلاقا من قاعدة "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " . وتقر العقيدة الإسلامية إن الله رب الإنسان قد خلق القوى فى هذا الكون كله لتكون له صديقا مساعدا متعاونا . أما سبيله إلى كسب هذه الصداقة فهو أن يتأمل هذه القوى ويتعرف عليها ، ويتعاون معها . وإذا كانت هذه القوى تؤذيه — أحيانا - فإنما تؤذيه ، لأنه لم يتدبرها ولم يعرف الناموس الذى يسيرها.

ومعنى هذا أن التفكير فريضة إسلامية ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩١،١٩٠). ولا تعارض بين العلم والإسلام بل إنه اكبر مناصر للعلم وأعظم محرض على اكتسابه . ولعل من أصول الكمال فى الشريعة التأكيد على فضله والدعوة إليه ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف : ١٨٥) . ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل : ١٥). ويتبين من تلك الآيات وغيرها أن العقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ، ويميز بين الأمور ، ويوازن بين الأضداد ، ينتصر ويتدبر ، ويحسن الأدكار والرواية وهو أمر نسبى ، خاصة إذا قيس بعلم الله المطلق ولاسيما فى الجانب الغيبى ، أما الكون فمفتوح أمامه يستبطن ما فيه بقدرة الخالق جل وعلا .

(٢) الواقعية والمثالية : تعبر الواقعية تعبيرا صادقا عن طبيعة هذا الدين ، وطبيعة من أرسل إليه . فمن أساء إلى الفرد أو الجماعة أباح الإسلام له أن يأخذ بحقه ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ و نظرا لأن الإنسان خليفة الله فى أرضه فالأولى بهذا الإنسان أن يتشبه

بمن أستخلفه فى العفو والتسامى ليكتسب القرب من الله : ولذا جاءت تكملة الآية ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (الشورى : ٤٠) خوفا من أن يفلت زمام القصاص فى الوصول إلى حقه ، فيصبح ظالما بعد أن كان مظلوما .

والقرب من المثالية فيها تماسك المجتمع ونجاحه ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤) . والمثالية هى وصف لكل ما هو كامل من نوعه . نقول : التنظيم المثالى ، والعدالة المثالية ، والمواطن المثالى . وهى المقابل للحقيقة والواقعية .

(٣) التسامح : وهو احتمال المرء - بلا اعتراض - كل اعتداء يقع على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه . ويتميز الإسلام بالتسامح ، ويرى فيه تساميا بالإنسان بل ويحض الإسلام عليه ليس بين المسلمين بعضهم البعض ، وإنما بين المسلم وغير المسلم وكان تسامح الإسلام والمسلمين الأوائل - وهم فى أوج قوتهم - سببا فى دخول الناس الدين أفواجا ، وإقبال الناس عليه من كل فج عميق ، بل كان تسامح المسلمين فى معاملاتهم سببًا فى انتشار الإسلام، ولعل في موقف الرسول (ﷺ)حين دخل مكة فاتحا، وخاطب أهلها قائلا: ما تظنون، إنى فاعل بكم ؟ قالوا: خيرا . أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال (ﷺ) أذهبوا فأنتم الطلقاء.

وتسامح الإسلام يأتى من منطلق القوة من واقع أنه لا يسمى تسامحا إلا إذ استند إلى أكثر من بديل له أو عليه . فإن كان له فبها ونعمت ، وإن كان عليه فهو الضعف بعينه ، وهو ما ليس مقبولا .وفى ظل عدم توازن القوى يغيب التسامح بل ويصبح مدعاة لنقص العهود ، وعدم الالتزام بالمواثيق . ومن هنا كان مغزى الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال : ٦٠).

(٤) ربط القول بالعمل: المسلم كيان واحد ، وشخصية متكاملة ، ووحدة واحدة من القول والعمل ، فلا انفصام بينهما ، بل إن الفصل بينهما فيه إثم كبير . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . (الصف : ٣،٢) ويقول (ﷺ) : الإيمان أمانة ، ولا دين لمن لا أمانة له.

وتأكيد الإسلام على عدم الفصل بين القول والعمل إنما هو من باب احترام الفرد لنفسه ، واحترام الآخر له - صديقا أو عدوا ، ذلك لأن الصدق مع النفس هو بداية

الشجاعة الأدبية ، والبطولة الحقة ، والصدق مع الغير هو بداية الثقة بالنفس ، والإعلان الحقيقى لتماسك الشخصية ، وقوة الإرادة. وفوق هذا كله هو إيمان بالله القوى وتحرر من المخاوف الدنيوية التى تحاصر ضعاف الإيمان فتجعلهم يقولون ما لا يفعلون .

ونظرا لأن الإسلام يعرف للكلام خطورته وأهميته فى توجيه أمور الناس – اقتضت حكمة الله أن يسجل على الإنسان ما يتفوه به ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق : ١٨) . وكأن المؤاخاة التى تمت بين المهاجرين والأنصار ، تحت رعاية رسول الله (ﷺ) - كانت تجسيدا عمليا لمفهوم الإيثار من جانب الأنصار ، وما يعبر عنه ذلك بتطبيق وحدة المسلمين فيما بينهم ، لا بين القول والعمل فقط .

(٥) المساواة : قرر الإسلام المساواة ، وجعل ما دون الله الخالق الواحد يستوون فى أنهم دونه . وهم فى هذا وحدة . وهذه الوحدة لا تمنع تغايرهم ، ولا تفاضلهم من جراء ما يمنحه لهم .

إنهم متساوون أمام الخالق بالخلق ، وبالفطرة . فالرقيق والحر ، و المرأة والرجل ، والفقير والغنى ، والصغير والكبير ، والمغمور والنابه ، والأبيض وما سواه ، والذمي والمسلم - كلهم متساوون فى قوانين الخلق وأمام سنة الحياة ، وبمعنى آدمية الإنسان ومن هذه المساواة لا يسلم المسلم قياده لغير الله ، ولا يركع ، ولا يسجد إلا له . فليس المال أو السلطان ، أو الجنس ، أو غيرها من بواعث القوة مما يتيح لأحد أن يكون له فضل على غيره ؛ وإنما الفضل بالتقوى . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (الحجرات : ١٢) . وما دام سلطان الله موجودا - وسلطانه موجود إلى الأبد - فليس هناك سلطان لأحد. ومن هذا المنطلق يصبح الطريق مفتوحا أمام المؤمنين بالله لكى يتفاضلوا بفضله أو يتنافسوا على طاعته بغير قهر ، أو نفاق.

د- الجانب السياسى :

لم يحدد الإسلام أسلوبا معينا من أساليب الحكم اعتمادا على أن عقل المسلم وظيفته الأساسية تقديم البدائل المختلفة لما يكفل قوة المسلمين ، ويرعى مصالحهم ويحميهم من التفكك. ويحفظ لهم وحدتهم أمام أعدائهم . ولم يترك الباب مفتوحا ليبدأ المسلمون من فراغ وإنما أعطى بعض الإشارات ليتخذها المسلمون دعائم أساسية فى إقامة نظام

حكمهم. ولعل أبرز هذه الدعائم : الأمانة ، والقوة ، والعدل ، والشورى وفيما يلى تفضيل ذلك .

(١) **الأمانة** : ليست دعامة أساسية لمن يقومون بالحكم فقط ، وإنما هى عامل مشترك بين كل المسلمين كل فى تخصصه ، وكل فى عمله ، وكل فى أدائه ، وكل فى محاسبة نفسه على اختلاف مستويات الفرد والجماعة اجتماعيا ، ثقافيا ، دينيا ، اقتصاديا ، لأن الأمانة إذا أديت بمستواها الأفقى مع مختلف الناس والرأسى فى عمر الإنسان من طفولته إلى المراهقة إلى الشباب والنضج ، إلى الشيخوخة أفرزت شعبا جديرا بالاحترام .

وإذا كانت الأمانة هى أداء ما يؤتمن عليه الإنسان أيا كان هذا الشئ ، وإذا كانت هى لازمة لكل مسلم فانها ألزم للحكام باعتبارهم محط الأنظار ، وأساس القدوة الصالحة . وصلاحهم صلاح للرعية بدءا من الأب إلى كل رئيس ثم إلى كل حاكم . كلكم مسئول عن رعيته . ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا** ﴾ (النساء : ٥٨) ومن الأمانة ألا يكتم المسلم شيئا فيه مصلحة للمسلمين من علم ، أو أدب ، أو خلق أو تهذيب ، أو نصيحة.

(٢) **القوة** : الإسلام دين الحق . والحق – غالبا – محارب ومكروه . وإذا كان الحق فوق القوة فلا بد للحق من قوة تحميه . والقوة التى يتغياها الإسلام قوة شاملة . بدءاً من الفرد إلى الجماعة " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف "

وتتعدد القوة فى عصرنا الحاضر . قوة فى الصحة البدنية ، والصحة النفسية. قوة فى المال والعلم . قوة فى أدوات القتال ، ووسائل الحرب . ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ** ﴾ (الأنفال : ٦٠). قوة الريادة ، والقيادة. وبجميع هذه القوى المختلفة القوة فى الدين. والقوة فى الإسلام ليست قوة غاشمة : تقتل وتدمر ، وتهدم وتخرب ، وتقطع الشجر وتجرف الأرض ، وتتشفى بمنظر الدماء ؛ وإنما هى قوة موجهة لصالح الفرد و الجماعة وتتم وفق معايير إنسانية وإسلامية.

أما من جهة الفرد فهى لا تطحن أفرادها ، ولا تدوسهم ، بل على العكس تجعلهم فى المقدمة تحميهم وترعاهم. فضعيف المسلمين - على أى مستوى من الضعف - هو أول من يؤخذ فى الحسبان ، ويراعى فى الاعتبار . والإسلام بهذا الاتجاه مس جانبين فى غاية الأهمية :

أولهما - أن احترام الضعيف قيمة أساسية فى المجتمع الإسلامى فالفقير ، والمريض والجاهل ومن على شاكلتهم أناس مسلمون قبل أى اعتبار آخر ومسئولية الأخذ بيدهم مسئولية حتمية وواجبة .

وثانيهما - وهو الأهم - أن هذا الاتجاه من المسلمين حيال هؤلاء الضعفاء يعد ضربا من الإثارة والحماس لهم على أن يرفعوا من مستوى أنفسهم ، ويتلاشوا أسباب ضعفهم ليكونوا بعد ذلك قوة أخرى تضاف للمسلمين الأقوياء . والمسلمون بهذا الوضع يحققون معنى العزة المرجوة ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (المنافقون : ٨)

وأما من جهة الجماعة فإن الإعداد للحرب الدفاعية ، أو الوقائية جانب لم تغفل عنه الشريعة الإسلامية لحماية دار الإسلام ، وحريات المسلمين ، " رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها " . والقوة المتعددة فى ميادين الحياة المختلفة للفرد والمجتمع هى سند قوى للجانب السياسى للدولة الإسلامية ، وبدون تلك القوة تصبح الواجهة السياسية ضربا من الكلام ، وشعارا بدون مضمون .

وإذا كان الإسلام فريدا فى دعوته فهو فريد فى قوته ، وهى قوة التقوى . يبدو ذلك واضحا فى وصية عمر بن الخطاب لجيشه الذى يحارب جبهة الفرس " إن تقوى الله أفضل العدة على العدو فكونوا أشد احتراسا من المعاصى فإن ذنوب الجيش أقوى عليهم من عددهم ؛ وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كانت الغلبة لهم ، والهزيمة علينا ﴿ **إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ (محمد : ٧) وقوة المسلم فى عصرنا - إلى جانب ما سبق يزيدها تماسكا أمام ما تدفعه الحضارة الغربية من مغريات مادية يراد بها أن يكون المسلم عبدا لمظاهر الترف ، وينسى واجبه الأصلى تجاه دينه ، وتجاه دنياه .

وأيا كان الأمر فإن المطلوب من المسلم القوى أن تسعفه قوته ، كما أن المسلم الضعيف عليه أن تسعفه حيلته .

(٣) العدل : وهو إنصاف كل الناس بمقتضى الشريعة ، وإقرارها على الأقوياء و الضعفاء مع ضمانات الاستماع الحسن للمتخاصمين والمساواة بينهما وتعجل النظر ، وتغليب العدل على الهوى واعتبار هذا الحق فوق أى سلطان - مهما بلغ - لأن العدل

سلطان الله وهو ضرورة واجبة يلتزم به كل من تولى ولاية تتعلق بمصالح الجماعة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء : ٥٨) ولا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت وإذا حكمت عدلت ، وإذا استرحمت رحمت .

وقوله (ﷺ) أيضا " أحب الخلق إلى الله إمام عادل ، وأبغضهم إليه إمام جائر " .

والتاريخ يؤكد أن العدل أساس العمران كما أن الظلم خراب للديار . وبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.

(٤) **الشورى :** تعد الشورى من أهم المعالم الأساسية فى طبيعة الحكم فى الإسلام . وهى أن يطرح ما يخص جماعة المسلمين . وما فيه منفعتهم على أهل الحل والعقد . وأهل الحل والعقد هم أهل الثقة والخبرة . الثقة فى أنهم لا يمالئون فى الدين ، ولا يراؤن الناس أملا فى مأرب أو وسيلة لتحقيق هدف . والخبرة فى انهم أهل للعمل الموكل به إليهم ، تمرسوا فيه وخبروه ، بل جودوه وأتقنوه . وتوافر البعدين قوة موجهة وركيزة مطلوبة . ويبدو أن فى وجودهما تلاقيا للأجيال المختلفة ، ضمانا لسلامة المسيرة . والشورى هى صمام الآمان للفرد تحميه من الجموح ، والتسلط ، وصمام أمان للجماعة يحميها من الوقوع فى السلبية ، والانقياد الأعمى.

وتأتى ضرورة الشورى من جهة أن الرأى الواحد عرضة للخطأ ، فضلا عن أنه يتناول الموضوع من زاوية واحدة ، وينسى الزوايا الأخرى . من هنا كانت آراء الآخرين تغطى ما أغفله الرأى الواحد.

وكما لم يحدد الإسلام نظاما للحكم ، كذلك لم يحدد أسلوبا لتنفيذ الشورى لأن المهم مضمونهاسواء فى صورة برلمان أو فى صورة لجان ، أو مجلس نيابة أو غير ذلك من صور تنفيذ الشورى بالتفاهم ، والمشاركة وتبادل الرأى وبهذا يظل باب الاجتهاد فى الشورى مفتوحا حتى لا يقع المسلمون أسرى نظام بعينه ، يحول بينهم وبين كل تطور مرغوب وضرورى .والتاريخ الإسلامى ملئ بالمواقف والأحداث التى تصور الشورى ، والأخذ بها تطبيقا لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) . قال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى : ٣٨) ومما روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هـ - **الجانب الاقتصادى:** من طبيعة هذا الدين أنه أوجب على الأمة الإسلامية إيجاد الوسائل التى بها يتحقق العمران وتوفر أسباب المعيشة للناس ، وتوفر للمواطنين - مسلمين وغير مسلمين - ما هم فى حاجة إليه من الغذاء والكساء ، والعلاج والدواء ، وما فى حكم ذلك حتى الخدمة لمن لا يستغنى عنها : كالعاجز والمقعد . ولا يكون ذلك لمجرد إبقاء الحياة ، بل يجب أن يبلغ الكفاية . وقدر الكفاية ما يحقق مستوى كريما من المعيشة .

ومعنى هذا أن يتكفل المجتمع الإسلامى بغير القادرين على العمل لأسباب أهمها العجز والشيخوخة والمرض وأصحاب العاهات الجسمية والعقلية . فلهؤلاء حق على المجتمع والمجتمع علية واجب تجاههم ، طالما أن الإسلام أعطى العمل قيمة فى المجتمع وحث كل قادر عليه بل جعل الجزاء والمركز الذى يصل إليه الفرد فى المجتمع مرتبطا بما يؤديه من عمل لصالح المجتمع .

المظهر الثالث: المظهر الكونى :

يعد الكون بما فيه من شمس وقمر وليل ونهار ، وبحار وأنهار ، وأرض وسماء ، وحيوان ونبات ، وجبال وأودية وغير ذلك مما يضمه هذا الكون الرحيب - بعدًا ثالثا لطبيعة هذا الدين الإسلامى الحنيف . وهذا المظهر مجال لفكر الإنسان ، و ميدان يسجل العقل الإنسانى فيه درجات القرب من الله ، لأن الكون كله آية من آيات الله ، ودليل على قدرته . فهو مثير للتأمل ، ومدعاة للتفكير ، وباعث على إعمال العقل ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾** ﴾ (الغاشية :١٧،١٨،١٩،٢٠).

وإذا كان القرآن الكريم هو كتاب الله المسطور فإن الكون كله هو كتاب الله المنظور وإذا كان القرآن هو كتاب هداية فإن الكون بما فيه من إحكام وتدبير دليل عملى على عظمة الخالق . ومهمة الإنسان أن يحقق الانسجام بين الكتابين ، وأن يصل ما بين نزل من السماء وبين ما وجد فى الكون باعتبار وحدة المصدر هو الله .

ويمكن القول: إن الطبيعة الإلهية ، والطبيعة البشرية ، وطبيعة الكون تكون فى مجملها طبيعة هذا الدين الذى ارتضاه الله لنا دينا ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ** ﴾ (آل عمران : ١٩).

وما سبق عرضه من طبيعة الدين يمكن الخروج منه بما يلى :

(أ) أن الكون وإبداعاته ، وأنظمته واتساقاته معيار صادق يمكن الرجوع إليه فى تدريس التربية الدينية ، وتوظيف المواقف المختلفة والأحداث المترابطة لترسخ المفاهيم والقيم لدى النشء . ولا يتأتى ذلك لكل مدرس ؛ بل لمن أوتى حظا من الثقافة العامة .

(ب) أن هذا الكون ليس وليد الصدفة ، وإنما هو من خلق الله وإبداعه . ولو كان وليد الصدفة لكانت مجريات الأحداث فيه تتم كيفما اتفق.

(ج) أن كل ما فى هذا الكون مسخر لخدمة الإنسان وما عليه إلا أن يأخذ بالأسباب لتعمير الأرض . وسيادة الإنسان على هذا الكون مرهون بقدرته العلمية والتأمل فى أحداثه التى لا تنتهى .

(د) أن طبيعة التربية الدينية ترتبط بالمجردات والمعنويات ، وهى مرحلة يصل إليها المتعلم غالبا بعد سن المراهقة فضلا عن الغيبيات التى تمثل صلب العقيدة وأساس هذا الدين ولكن هذا لا يمنع من تقديم المناهج المجردة قبل ذلك ؛ انطلاقا من أن المناهج لها مستويات متعددة فى الفهم

(هـ) أن الإنسان لم يخلق عبثا فهو مسئول عما يصدر منه فى هذه الحياة مسئولية كاملة وانسحابه من المسئولية يجرده من الإنسانية ويصبح كبقية المخلوقات . وهذا ينافى طبيعته .

(و) أن طبيعة الدين تمس أول ما تمس فطرة الإنسان . وهى بذلك تمثل جوهر هذا الإنسان وأساسه بحيث لا يمكن إغفاله أو إبعاد الإنسان عنه ، ومن ثم يتحتم الاستعانة بكل الوسائل التى من شأنها أن تعين هذا الإنسان على تعلم الدين وتشرب مفاهيمه وقيمه منذ ولادته . وهذه الطبيعة تمثل إرهاصات نجاح تدريس التربية الإسلامية .

إن التربية الدينية تخاطب فى الإنسان استعداداته وقدراته الكامنة فيه . وهى بذلك لا تعمل فى فراغ ، وذلك من حكمة الله حتى لايضل الإنسان أخاه الإنسان . ومن هنا فالطفل مهيؤ لأن يستقبل منهج الله ، وصالح لأن يكون خليفة الله فى الأرض وفق ما أراده الله . وبالتالى فإن إمكانية تحقيق أهداف التربية الدينية أمر ميسور إذا ركزت على تلك الاستعدادات وأتاحت لها الفرصة لتخرج إلى حيز الوجود ، انطلاقا من تنوع تلك الاستعدادات ، وتوزيعها على البشر ، بشكل يضمن استمرار الحياة.

(ز) إن مادة التربية الدينية ليست مثل باقى المواد الدراسية الأخرى ، لأن بعض ما يتصل بالدين يصعب إخضاعه للنظريات والقوانين التى يصل إليها البشر ، وعليه فليس ما هو صالح لمادة دراسية أخرى يصلح للتربية الدينية . فمثلا : الآيات القرآنية - بمقتضى العقل والفطرة - لا يمكن بأى حال من الأحوال النظر إليها نظرتنا إلى قصيدة شعرية . والأحاديث النبوية لا يمكن وضعها موضع خطبة أو قطعة أدبية ، لأن الأمور التعبدية أعطاها الله أوزانا إلهية ، لا نستطيع نحن البشر إدراكها ، فضلا عن أن التربية الإسلامية تتخطى بعد التحصيل إلى أبعاد أخرى ربما لا تتوفر فى غيرها .

(ح) إن مادة التربية الدينية حين تتعامل مع المعلومات والمعارف الدينية تتعامل معها من جهة ارتباطها بقيمة أو ارتباطها بشعيرة ، أو نسك وهذه القيمة إما فردية أوجماعية ، ومن هنا فإن مادة التربية الدينية تتعامل مع القيم والفضائل الإنسانية فيه ، وهذا يستدعى التبكير بتلك التربية ، وعدم إرجائها إلى أن يتكون لدى الطفل معرفة المفهوم أو معرفة الأسرار التى سيكشف عنها فيما بعد ، لأن هذا الطفل فى النهاية طفل بشرى يعايش الجماعة ، ويتفاعل معها .

(ط) إنه إذا كان التوحيد هو أساس هذا الدين وقوامه وهو فى الوقت نفسه غيبي - فإن المدخل الطبيعى لليقين لهذا التوحيد يأتى من خلال الطبيعة البشرية ،والطبيعة الكونية . وعن طريق تقديم أبرز المواقف البشرية وأبدع الآيات الكونية - يصبح من السهل على النشء التسليم بوحدة الإله وعظمته . وقد أصبح من السهل تقديم تلك النماذج بالأساليب المختلفة ، والعروض المتعددة ، واستغلال الجانب العلمى فى تلك الأداءات ، خاصة فى ظل تقدم التقنيات الحالية.

(ي) إن السنن الربانية ، والتشريع السماوى لا يخالفان الفطرة البشرية ، ولا يتعارضان معها ، بل يتسقان معها لتصبح منطقة جذب للمقبلين على الله ، و العارفين بعظمته .

(ك) إن الإسلام نظام حياة اجتماعية قوامها الأخلاق الدينية التى تيسر للمسلم الاندماج مع الجماعة والتفاعل معها ، و التمسك بها بفاعلية وإصرار .

(ل) إن الإنسان فى نظر الإسلام صاحب رسالة سامية إذا قام بها استحق أن يكون خير إنسان فى خير أمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

(م) إن مصادر المعرفة ثلاثة هى : الوحى ، والعقل ، والحس ، أو التجربة .

سادسا : المنهج والمجتمع :

يمكن للمنهج أن يؤدى أدوارًا ووظائف اجتماعية . منها ما يلى :

١ - إنه الوسيلة المنظمة الأولى للتربية ، وأداة المجتمع فى تحقيق أهدافه.

٢ - إنه السبيل لإعداد الفرد لمجتمع معاصر ، بكل مقوماته ، ومجتمع المستقبل بكل آماله وتطلعاته.

٣ - إنه المادة التى يتم صنع الأفراد عليها ، فى إطار المجتمع السوى بحيث تتكامل شخصياته ، وينمو نموا سليما ، فى الاتجاه الصحيح.

٤ - أنه يزيد من طاقة الإنسان على العمل والإنتاج ، بما يحمل من معلومات ومعارف وقيم وآداب تجدد نشاطه ، وتدفعه إلى العمل والإبداع.

٥ - أنه يمثل نقطة انطلاق للمتعلم المتميز ، الذى يختار مسير حياته على أساس من الكشف والتبصر ، بعيدا عن معوقات المستقبل.

٦ - أنه يحمى المجتمع من أن يذوب فى ثقافات المجتمعات الأخرى ، التى لديها القدرة على توجيه ثقافات الآخرين.

وتجدر الإشارة إلى كل منهج دراسى يقدم للطالب يعد منهجا إسلاميا ، طالما أنه خلا مما يتعارض مع الشريعة الإسلامية ، انطلاقا من القاعدة الشرعية التى تقول: إن الأصل فى كل شىء الإباحة . ولعل منهج التربية الإسلامية هو أول المناهج التى تعمل على تحقيق الوظائف السابقة ، وغيرها ؛ لأنه ليس كبقية المناهج الدراسية الأخرى التى لها بداية ونهاية ؛ إذ أنه له بداية وليس له نهاية ؛ لأنه مناط الإنسان فى قربه من الله يعلق عليه الآمال طول حياته ، من حيث انه ملازم للإنسان فى حياته كلها يعدل من قيمه ، ويغير من سلوكه إذا أدرك شيئا منه قد فاته. والإنسان بهذا التعديل يضيف رصيدا إنسانيا للمجتمع ، لأن هذا التعديل سينسحب على كل مجال يكون الإنسان طرفا فيه . وهو بهذا الاعتبار أساس نجاح المواد الدراسية الأخرى.

والمجتمع فى حاجة ملحة إلى إنسان عرف منهج الله ، وأدرك أسراره ، وألم بوظائفه وفهم أهدافه ، فتشبع بهذا المنهج ، وأصبح حياته وسلوكه. ولعل السبب فى ذلك ما يلى :

١ - غلبة الاتجاه المادى لدى كثير من الناس ، والرغبة فى امتلاك معظم الأدوات والمستحدثات العصرية ، والإقبال على التمتع بأطايب الحياة ، وملذاتها ، حتى لو

كان ذلك على حساب القيم الدينية ، أو الأخلاقيات الاجتماعية المتعارف عليها لدى الأسوياء من الناس. ومهمة التربية الدينية ألا تحارب هؤلاء الذين ينمون أنفسهم ماديا وألا تقتل فيهم هذه الطموحات الدنيوية ، والآمال الواسعة التى يريدون أن يحققوها لأنفسهم ولذويهم . لكنها إلى جانب هذا تغرس فى نفوسهم قيمة التوازن ، لأن التربية الإسلامية لا تعمل على تقوية جانب عند الإنسان على حساب جانب آخر ، بل إنها تعطى كل جانب منه قيمته وحقه من الرعاية ، دون تعطيل لقدراته وإمكاناته الموهوبة له وتعمل أيضا على تمكين الإنسان من أن يقوم بدوره فى هذا الكون ، وأن يشيد ، ويبنى ، وأن يقيم حضارة ، ويستغل كل ما يستطيع من مصادر البيئة من حوله ، وفى نفس الوقت يرتبط بالله ولاءًا ، وطاعة، وانتماءًا . وبهذا التوازن تتكامل النفس الإنسانية وتتقدم الحياة ، لأن الإسلام كما يأمر بالروحانيات فهو أيضا يأمر بالماديات . ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ (القصص : ٧٧) .

٢ - الاتجاه السلبى لدى بعض الناس . فبعض المواطنين يرى كثيرا من المواقف التى تحتم عليه أن يكون طرفا إيجابيا فيها إلا أنه يؤثر السلامة بالبعد عنها ، والدخول فيها . ليس فى موقف الحياة المحيطة به ولكن فى موقف الحياة المحيطة بأسرته وأهله وأقربائه . ومهمة التربية الدينية أن تنشئ هذا المواطن على أنه شريك فى الحياة مع بنى جنسه يؤثر فيهم ويتأثر بهم ويتفاعل معهم ، وينفعل بهم وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة الخالصة أمر فرضه الدين وأن خير الناس أنفعهم للناس . عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . (رواه مسلم)

٣ - غياب قيمة الانتماء لدى بعض المواطنين ، بسبب أن المجتمع لا يلبى كل تطلعاته المادية وغير المادية ، وآماله الطموحة فى الثراء وفى المركز الاجتماعي . والمجتمع حين لا يلبى ذلك يحاول المواطن بشتى السبل أن يعمل حيله فى الهرب من أداء ما عليه من حقوق لهذا الوطن وينسى أنه حينما يمد يده ليأخذ فإن عليه حقا وهو أن يمد يده ليعطى ؛ لأن حب الوطن يتطلب التضحية ؛ والمعايشة .

بلادى — وإن جارت على — عزيزة ❖ وأهلى — وإن ضنوا على — كرام

ومهمة التربية الدينية أن تعمق الإيمان بالله ، والانتماء إليه إلها واحدا . وانتماء المسلم لدينه يكون لديه الولاءات المتعددة . ولاءه لأسرته ، وولاءه لعمله ، وولاءه لبلده الصغير ثم ولاءه لهذا المجتمع الكبير . وفى هذا إعزاز للفرد والمجتمع .

٤ - خلط القيم الأصيلة بالقيم الدخيلة . ولعل سبب ذلك سيطرة تحقيق المنفعة الخاصة وطرح المعانى الحقيقية المصاحبة لهذه المصلحة ، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة أيا كانت هذه الوسيلة . فأضحى الحب – حب الشهوه والمنفعة ، والالتزام بالكلمة تخلف والنفاق معاصرة " والطيبة خيبة " والوفاء لا مدلول له إلا فى قواميس اللغة ، والتراخى فى العمل رجولةً . ومهمة التربية الإسلامية أن تقدم القدوة الصالحة التى تحث على الصبر ، وتدفع إلى العمل ، وتأمر بالمعروف وتشجع على الإبداع والابتكار وتتحلى بالأمانة والوفاء . وتقدم المواقف والخبرات التعليمية وفقا لروح العصر الذى يعيش فيه التلاميذ وتوعيتهم بحاجاتهم الأساسية ، وموقف الإسلام مما وراءها من أهداف سامية.

٥ - وجود المرجعية التى يتم الاحتكام إليها حين تختلط الأمور ، ويصعب التمييز بين الحق والباطل ، والخير من الشر .

ومما سبق يمكن القول: إن مناهج التربية الإسلامية ينبغى أن يكون لها دور كبير فى تفهم طبيعة المجتمع ، بحيث تتمكن هذه التربية من احتواء الاتجاهات الخلقية التى تتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة ، وردها إلى وضعها الطبيعى فى سلسلة الأخلاق الإسلامية ، الأمر الذى يفرض على هذه التربية أن تعمل على **ما يلى:**

أ - أن تساعد التلاميذ على فهم الإسلام وسماحته بحيث يتضمن المنهج توضيحا لمعنى الإسلام وخصائصه والسمات التى تميزه عن غيره ، كما ينبغى أن يهتم المنهج بتوضيح سماحة الإسلام ، وبأنه دين يدعو إلى الحرية الفكرية ، فلا يقف عند حد العبادات فقط بل إنه دين ودنيا .

ب - أن تقدم الشخصيات الإسلامية وعلى رأسها المصطفى (ﷺ) للاقتداء به فى كل قول أو عمل أو شعور .

جـ - أن تساعد التلاميذ على فهم بيئتهم المحلية الاجتماعية ، بحيث يعمل المنهج على إبراز ما في بيئتهم من قيم ومثل عليا ، وعادات ، وتقاليد لابد من مراعاتها والمحافظة عليها .

د - أن تساعد هذه التربية التلاميذ على تكوين تصور إسلامى صحيح للكون والإنسان والحياة وأن الوجود كله خاضع لماسنه الله تعالى ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.

هـ - أن تعمل على تقوية روابط الأخوة فى العقيدة والإنسانية بينها وبين أبناء الوطن وقبل هذا وبعده ترسيخ الإيمان للخالق سبحانه ومعرفة منزلته فى الكون.

(٦) الجانب العقدى : حيث يجب أن تركز عليه المدرسة على اختلاف مراحلها، بل يجب أن يعمق – أيضا – فى المرحلة الجامعية . ليس من قبيل معالجة التربية الدينية له فقط، وإنما من قبيل مساهمة كل مدرسى المواد الدراسية الأخرى خصوصا المواد العلمية منها، وذلك بالإفادة من الدروس المعملية التى يقوم بها التلميذ أو يشاهدها، وتوظف تلك الدروس كلما سمحت بذلك واتسع لها الوقت، لأن التلاميذ فى مرحلة التعليم العام أكثر اقتناعا بالمشاهد المحسوسة.

وإذا كان من المسلمات التربوية معرفة المجهول من المعلوم ، والمجرد من المحسوس والغائب من الشاهد - فإن منهج التربية الإسلامية - بإسهام معلمها - لابد أن يتضمن تأكيد العقيدة فى نفس المسلم ، خصوصا فى المرحلة الثانوية التى يكون الطالب فيها فى مرحلة المراهقة ، ووصل إلى درجة من النمو العقلى ما يمكن أن يثبت فى ذهنه العقيدة الدينية الإسلامية ، ليس فقط عقيدة الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ، وإنما كل ما يتصل بهذه العقيدة من قيم مطلقة ، بحيث يتجاوز هذا الطالب مرحلة التعرف إلى مرحلة الممارسة الفعلية .

ويتم عرض العقيدة فى كتاب التربية الإسلامية أو على لسان المعلم عن طريق إقامة الدعوى ، والبرهنة عليها ، وبسط مذاهب المخالفين ، ثم تفنيدها ، بإثارة العقل واستنهاض الفكر ، وبيان نظام الكون وما فيه من إحكام وإتقان ، وتآخ بين العقل والدين ، بحيث يدخل الحوار فى الإطار الذى رسمه القرآن ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) بهدف إقرار الحق ، واليقين المطلوب .

(٧) الجانب الأخلاقى : ويأتى التأكيد على الجانب الأخلاقى من جهة أن رسول الله (ﷺ) أعلن أنها الغاية من بعثته: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" و" النمو الأخلاقى هو الغاية القصوى من العمل المدرسى كله ".

والأصل الأول لهذه الأخلاق هو التقوى . وهى فضيلة أراد بها القرآن إحكام ما بين الإنسان والخالق ، ولذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها فى أكثر آياته القرآنية الاجتماعية . والمراد بها أن ينفى الإنسان كل ما فيه ضرر لنفسه أو ضرر لغيره لتكون حدود المساواة قائمة فى الاجتماع لا تصاب فيها ثلمه ، ولا يعزيها وهن . إذ الخلق فى الإسلام ليس استكانة ولا ضعفا ، بل هو القوة العادية .

والخلق بهذا المعنى يختلف عما تواضع عليه أهل هذا العصر ، لأن له محكا ثابتا وهو القرآن الكريم فقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها كيف كان خلق رسول الله(ﷺ) فقالت : كان خلقه القرآن . أما الخلق بمعناه الوضعى وهو " تطبيق مستويات السلوك التى يقبلها مجتمع من المجتمعات ، ويعتقد أنها عنصر أساسى لحياة الجماعة فهو بهذا المعنى يتغير بتغير المجتمعات حتى لو كان هذا التغيير غير متلائم مع الدين أو الطبع السليم . والأخلاق بهذا المعنى هى دراسة سلوك الإنسان كما هى موجودة بالفعل وليس من جهة ما ينبغى أن تكون ثم هى أخلاق نسبية فقوانينها ، ومبادؤها ليست مطلقة ، كما زعم العقليون من أمثال " كانت " ، بل إنها تتغير بتغير ظروفنا وأحوالنا وتراكيبنا العضوية.

إن الخلق صفة النفس الإنسانية . وهو نظام معقد ينمو ببطء شديد ، ويتألف من تضافر مجموعة من العوامل الكثيرة المتعددة . منها ما هو خاص بالفرد ، ومنها ما هو خاص بالمجتمع . وتدخل فيها مركبات كثيرة كميول الفرد واتجاهاته وعاداته التى شب عليها ، وعواطفه التى تكونت نتيجة مروره بمجموعة من المواقف والخبرات السارة أو المحزنة التى أشبعت حاجاته أو حرمته نعمة الإشباع المريحة أو المؤلمة.

ويمكن ترسيخ الأخلاق لدى الناشئة عن طريق التربية الإسلامية بالاعتماد على جانب القدوة الصالحة ممن يأخذون على يديه هذا النوع من التعليم . فليس من المعقول أن يعلم المعلم تلاميذه على الصدق ، والأمانة ، أو أى قيمة خلقية ثم يظهر هو بعكس ما يقول ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٣) .

وليست هذه مهمة معلم التربية الدينية وحده بل مهمة كل فرد يتاح له أن يحتك بهذا التلميذ ويتعامل معه ، لأن المجتمع كله شريك فى التربية ويسهم فيها ، بدءا من الأسرة إلى المدرسة ثم إلى المجتمع الكبير المحيط به .

(٨) التأكد على الجانب المساير لأحداث العصر: ويقصد به صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان ، وقدرته على مسايرة العصر. فإذا كان الإسلام لم يقنن للاجتهاد،

ووسائل علمه ، تنشيطا لحركيته ، وإلحاحا لمجال بحثه – فقد حدد هدفه وهو الالتزام بأصول الشرع ، وتوخى سد الفراغ بما يحقق المصلحة العامة سلبا بدرء المفسدة وإيجابا على تحقيق النفع العام ، وعلى أساس حماية مصالح الفرد ولكن لا على حساب المجموع وعلى المجتهد ألا يغتر بما تقره الحضارة الحديثة ، والنظم المختلفة من مبادئ ومناهج وإلا يكون هدفه تقريب الإسلام من هذه المستحدثات ، فإن الإسلام دين له منابعه وله غاياته . وعمل المجتهد هو رد الأمور الناشئة إليه وحده ، لاجره إلى الفلسفات الإنسانية المختلفة وسواء أكان الاجتهاد فرديا أم جماعيا فإن مرجعه واحد من أمرين :

أولهما - قياس الأشباه على أشباهها ....وذلك قول عمر رضى الله عنه لأبى موسى "أعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك "

ثانيهما - رعاية مصالح الخلق ، وتقرير ما يجلب لهم النفع والخير ، ويدفع عنهم الأذى والشر . فالمجتهد فى الواقع أداة لتجديد الشريعة الإسلامية بمسايرة ما يستجد من الأشياء لاحكامها دون أن يحيد عن أصول التشريع . فهو يستنبط الأحكام وفق أدلتها الشرعية ومقاصدها التشريعية التى هى البحث عن مصلحة الإنسان ومصلحة الجماعة كلها، والتى اتفقت الأديان والمذاهب والأيديولوجيات على ضرورة حفظها وهى العقيدة، والنفس والعقل والنسل ، والمال.

والتركيز على هذا الجانب يجعل النشء يفخر بالانتماء إلى هذا الدين ويرسخ عقيدة الإيمان فى نفسه من جهة صلاحيته لكل زمان ومكان ، مع مراعاة أن عملية التجديد هذه ليست متاحة إلا لمن يعرف ماضيه كما يعرف حاضره . ومن يتصدى للحديث فى هذا الدين لابد أن يملك أولا أدوات هذا الحديث وإلا كان كلامه ضربا من التخريف.

(٩) التركيز على الجانب الاعتدالى: ويقصد به الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) أى عدلا والوسط من كل شيء أعدله : فالإسلام يدعو إلى الاعتدال والتوسط فى كل أمور الحياة حتى فى الأكل والشرب . ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (الأعراف : ٣١).

والتوازن فى كل شئون الحياة هو القاعدة الكبرى فى التربية الإسلامية ، ذلك لأن الإسلام يرى أن الغلو كالتفريط و كلاهما يخل بمصلحة الفرد، كما يخل بمصلحة المجتمع على حد سواء ، وبالتالى فلا يستطيع الفرد أو المجتمع أن يحقق رسالته فى هذه الحياة ،

مع أن للمسلم وللمجتمع الإسلامى مهمة سامية هى عمارة الأرض ، طبقا لمنهج الله الذى خلق الإنسان وكرمه ليحقق بذلك خلافه الله فيها.

فهو أى الإسلام يجمع بين الجسد والروح ، والدنيا والآخرة ، والماديات والمعنويات والعقيدة والدولة ولكن فى توازن عادل .

وتأتى أهمية التركيز على هذا الجانب من جهة أن الحياة المعاصرة مليئة بالمستحدثات العلمية والحضارية التى من شأنها أن تستهوى الشباب والشيوخ معا بل وتجبرهم على استخدامها . ويعرف النشء أن الإسلام دين الفطرة وأنه لا يتعارض مع رغبات البشر إلا فى حدود ما حرمه الله بقصد الحفاظ على الإنسان ، ووقايته من نفسه وشهواته – هو فى حقيقته ضرورة تربوية .

وفى المنظور القرآنى ليس الإنسان هو خليفة الله على الأرض فحسب ، ومسئول عن الطبيعة وتوازناتها على المستوى العالمى ، ولكن عقيدته هى مبدأ علمه ، وقوانين مجتمعه. فلا الاقتصاد ولا العلم ولا الفنون تستطيع الانفصال عن العقيدة التى تحدد لها غاياتها الإلهية والإنسانية. فالحياة بجميع أبعادها تجد فى الله وحدتها ﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ** ﴾ (الحديد: ٣)

ويتصل بالجانب الاعتدالى التوازن بين فرض العين وفرض الكفاية صحيح أن بينهما علاقة وثيقة من حيث أن كلا منهما يؤثر ويتأثر بالآخر . فالصلاة مثلا وهى فرض عين إن أديت على الوجه الأكمل ظهر أثرها فى فرض الكفاية – كالجهاد – مثلا . من الممكن أن تكون المحافظة على الصلاة سببا فى أن يكون المسلم محبا للجهاد ، مخلصا فى القيام به و بحيث يمكن أن يصل إلى درجة فرض العين ، أو أكثر ، لأن إهمال فرض العين إنما يعود على الفرد نفسه من الناحية الواقعية ﴿ **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾(النجم : ٣٨) أما إهمال فرض الكفاية فضرره يعود على الأمة الإسلامية بأسرها ، ولذا فإنه فى حالة ضعف المسلمين يصبح فرض الكفاية بمثابة فرض العين لكى ينهض المسلمون بمستواهم فى مجال القوة ، والعلم والجهاد والتماسك الاجتماعى ... وغير ذلك مما تفرضه الضرورات التى تحيط بالمسلمين من كل فروع العلم والمعرفة والفن والمهارة وتفوق فى كل هذه الميادين .

وليس معنى هذا أن يتراجع فرض العين ، ولكن يسير فى نفس الخط مع فرض الكفاية لأن حياة المسلم الصحيحة كلها عبادة بما يستوجبه معناها بالفهم الصحيح ، بل إن تطبيق فرض العين بوعى وإخلاص بداية انطلاق لإبداع المسلمين ، وتقدمهم ، وإثبات

وجودهم فى الحياة وغياب هذا التطبيق بداية الرهبنة و العزلة عن الحياة . وهذا ما يرفضه الدين ويأباه.

ومعنى هذا أن اتصال العقيدة الإسلامية بمناشط الحياة اليومية المختلفة هى السبيل الوحيد لإحداث التوازن فى الحياة ، عن طريق جعل الجانب الروحى والسعى من أجل المعاش معنى واحد ، أى أن الروح ليس هو تجاوز المادة ، أو العمل ؛ وإنما هو طريقة فى ممارسته.

(١٠) الوعى بالجانب المتميز : ويقصد به ما يميز المسلم عن غيره ، كما تميز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى . ونظرا لأن هذا الدين خاتم الأديان ، ومن آمن به فقد استوفى جماع ما فى الأديان السابقة فإن " المسلم يتميز عن غيره من البشر ، لأنه يحمل رسالة سامية هى تحقيق خلافة الله فى الأرض ، وهذا التميز يأخذ طابع الشكل، كما يأخذ طابع المضمون فمن جانب الشكل يتميز المسلم بالرجولة والخشونة . ومن هنا فإن الإسلام يحرم كل ما يحد من هذه الرجولة ، أو يؤثر فيها . ومن ذلك أنه حرم على الرجال الأشياء التى يتحلى بها النساء : كالذهب ، والحرير

كما حافظ الإسلام على رجولة الرجل حافظ على أنوثة الأنثى حتى يتفرغ كل منهما لرسالته (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال).

والإنسان المسلم، كما يتميز فى الشكل، فإنه يتميز فى المضمون أيضا. فالمسلم يحس بكرامته عند الله وبمكانته فى الملأ الأعلى، وبمركزه القيادى فى هذا الكون. وهذا كله يجعله يشعر بذاته، لأنه يشعر بانتسابه إلى الله تعالى، وبارتباطه بكل ما فى الوجود فيحيا عزيز النفس أبيا بعيدا عن الشعور بالتفاهة والضياع ، والفراغ.

وتأتى أهمية التركيز على هذا الجانب من جهة أن بعض المسلمين تفوتهم الآن عملية التفرقة بين الجنسين ، وذلك بدعوى المدنية والحضارة ، حتى كادت الفواصل بين الذكورة والأنوثة تنعدم . وتفهم كل منهما لدوره ووظيفته فيه احترام لذاته أولا ، ثم لدينه ودنياه ثانيا لأنه لا يصح إلا الصحيح .

والصحيح أن تتميز الشخصية المسلمة ، لأن المسلم قيمه فى ذاته ، وهو قيمة اجتماعية وقيم اجتماعيا . وهو قيمة اجتماعية بخلقه وعمله . هو قيمة اجتماعية بخلق التقوى وعمل الإحسان . وهو قيم اجتماعيا بأنه يمثل قيما عليا فى الجماعة ، وبأنه أسوة،

وبأنه داع إلى الخير، آمر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، وبأنه مدافع عن حدود الإسلام الشريفة التى ينعم الإنسان فى رحابها بإنسانية ، بتسامى إنسانيته.

وليست عملية التميز هذه بدعة من المسلمين ليعطوا لأنفسهم ما ليس فيهم ، وليتبؤوا مكانا هم بعيدون عنه ، ولكنه طلب من الله . فمثلا فى موضوع الزواج : يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ ﴾ (البقرة : ٢٣١) . فمقياس التميز بالإيمان ، ولم يقتصر هذا التميز على جوانب الحياة اليومية العادية بل شمل أيضا جانب الجهاد فى ميدان القتال ، فلم يسو الله بين المؤمن وغيره ، بل اعتبره بمثابة إنسانيين بعد التخفيف فى بداية الدعوة الإسلامية ؛ إذ كان الواحد منهم بعشرة من الكفار ، إلى أن نزلت الآية ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٦٦) . بل تمتد عملية التميز هذه إلى الاعتماد على صفاء المسلم، ورأيه فى تقرير بعض ما يتصل بالشريعة من حيث الحل والحرمة حتى وإن أبدى بعض المسلمين ارتياحا لهذا الذى يشغل المسلم " استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك " وتعى هذه الحقيقة بعض الدول ، فتربى أبناءها على الاستعلاء والتميز ، مما يعطيهم الإحساس بالثقة والتفوق ، فى الوقت الذى يتغاضى فيه المسلمون عن هذه الحقيقة .

ويمكن القول: إن هذا المخلوق المسلم مزود بطاقات . من أبرزها طاقة المعرفة وطاقة الإرادة الضابطة ، وطاقة القوة الفاعلة المتضمنة فى معنى الخلافة ومقتضياتها وطاقة الصراع والقدرة على التوجه إلى الله ، وتلقى كلماته ، وتتبع هداه ، والقدرة كذلك على الاستقرار والاستمتاع .

١١ — العمل على تكوين العادات : وتبدو أهمية العادة من حيث " إن فضائلنا هى عادات مثلما تكون رذائلنا عادات ، بل إن الحياة برمتها — ما دام لها شكل محدد — لا تزيد عن كونها كومة من العادات العملية والانفعالية والفكرية التى انتظمت فى نمط خاص لخيرنا وسعادتنا أو شقائنا وضررنا.

ويتم تشكيل العادات الطيبة من الطفولة ، فيؤمر مثلا — بالصلاة ، والصيام — إن أمكن — لسبع سنين ، ويضرب على تركها لعشر ، ليس ذلك فى مجال العبادات فقط وإنما فى شتى مجالات الحياة حتى يعتاد الطفل على تلك العادات الخلقية والسلوكية ، فإذا

ما وصل الطفل إلى مرحلة المراهقة ، وحاول أن يقف أمام تلك العادات وقفة إيجابية كان له من الرصيد السابق ما يعينه عل ترسيخ تلك العادات ولعل مما يساعد على ترسيخ العادات الطيبة لدى الطفل والمراهق القدوة الصالحة ، والنموذج الواضح .

" إن ٩٩٪ ، أو ربما ٩٩٩ فى الألف من نشاطنا آلى صرف نؤديه بالعادة البحتة منذ أن نستيقظ من نومنا فى الصباح إلى أن نأوى إلى فراشنا كل ليلة " .

" إن التربية هدفها تشكيل السلوك ، والعادات هى المادة التى يتشكل منها السلوك ، وإذن فالعادات هى لحمة التربية وسداها " .

والنتيجة الأولى التى تترتب على ذلك أن تكون ركيزة اهتمام المعلم الأولى أن يغرس فى التلميذ أنواعا من العادات التى تكفل له أكبر قدر من الفائدة والنفع مدى حياته وليس هناك مصدر نستقى منه تلك العادات الطيبة أفضل من تراثنا الدينى بمصادره المختلفة .

١٢ – غرس قيمة العمل : إذ يهتم الإسلام به ، ويدعو إليه . والآيات كثيرة تقرن الإيمان بالعمل للدلالة على أن أى عمل يقوم به الفرد لابد ان يؤمن به ، لأن الإيمان به هو الوسيلة الوحيدة لإجادته وإتقانه والعمل الذى يقوم به الفرد لابد أن يكون عملا مفيدا وصالحا ، له عائد للفرد والجماعة فالله سبحانه وتعالى حين يقول ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة : ١٠٥) فإن هذا العمل الذى يراه الله ورسوله والمؤمنون لابد وأن يكون على مستوى عال من الجودة والإتقان ، والعائد منه لابد وأن يتناسب وجلال هذه الرؤيا .

وقد طالب الإسلام بالعمل كل قادر عليه، وقرر أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ (الزلزلة : ٧، ٨) . ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم : ٣٩). وأباح لكل واحد أن يتناول من الطيبات ما شاء أكلا وشربا ولباسا وزينة ولم يحظر عليه إلا ما كان ضارا بنفسه، أومن يدخل فى ولايته، أو ما يتعدى ضرره إلى غيره ، وحدد له فى ذلك الحدود العامة بما ينطبق على مصالح البشر كافة . فكفل الاستقلال لكل شخص فى عمله ، ووسع المجال لتسابق الهمم فى السعى فى الحياة.

إن الإسلام لا يعد العبادة فيه مجرد إقامة الشعائر، وإنما الحياة كلها خاضعة لشريعة الله فتوجهها بكل نشاط فيها إلى الله ومن ثم تعد كل خدمة اجتماعية، وكل عمل من أعمال الخير عبادة . قال (ﷺ) : الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ، أو القائم

الليل الصائم النهار . فليس صحيحا إن العبادات فى الإسلام هى الفرائض وحدها وإنما كل سلوك المسلم ، وكل فعل نافع يقوم به عبادة . " إذا قامت الساعة وفى يد أحد منكم فسيلة (زرع صغير) فليغرسها ، فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها ، فله بذلك أجر " .

والعبادة عمل يشترك الجسم فيه إلى جانب الروح . فالصلاة – وهى عنوان العقيدة ولباسها – حركة جسم متطهر إلى جانب حركة روح متطلعة تحاول فى خشوعها أن تتصل بالله • وهى لا تصح بأحد العنصرين دون الآخر .... والصيام امتناع جسمى عن الطعام والشراب ، وتحمل للجوع والعطش إلى جانب تقوى المشاعر ، وانطلاقة الروح ، ولا يصح بأحد العنصرين دون الأخر . والمدرس حين يقوم بعمله حركة جسم فى النطق والأداء وحركة روح فى الإخلاص ، وحب لتحقيق الهدف . وبلغ الإسلام من الحرص على العمل والتأكيد على ممارسته ، أن جعل له ثوابا عند الله . حتى لو أن ما ترتب على هذا العمل ، لم يكن واردا فى ذهن صاحبه ، حين قام بهذا العمل ؛ لأن فلسفة الإسلام فى العمل إنما هو الإفادة : إفادة للفرد ، وإفادة للمجتمع ، وإفادة للكون بمن فيه وما فيه. عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ): "ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير ، أو إنسان ، أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة" .

وتكمن نظرة الإسلام إلى العمل فى أن ثوابه على الله ، حين يتوجه به العبد إلى ربه. كما أن فيه حماية لهذا العبد من الإحباط الشديد ، أو خيبة الأمل ، لأن الواقع يؤكد أن الإنسان إذا قدم معروفا لآخر، ولم يحفظ له هذا الجميل ، بل وربما أنكره أسقط في يده وقد يحمله على أن يمسك عن التعامل مع الآخرين ؛ والتوجه بالمعروف ، أو بالعمل إلى الله ، يجنب الفرد مما يمكن أن يصيبه فى مثل هذه الحالات.